محاضرات فى تاريخ

الدولة العربية الإسلامية

د. زنوبة نادى مرسى أبو زيد
استاذ مساعد التاريخ الإسلامى
كلية الآداب - جامعة القاهرة



الناشر
دار الثقافة العربية
(٢٠٠٦)

١٠٧

محاضرات
فى
تاريخ

الدولة العربية الإسلامية

إعداد

دكتورة / زنوبة نادى مرسى أبو زيد

مدرس التاريخ الإسلامى - كلية الآداب

جامعة القاهرة

٢٠٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

[ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا]

صدق الله العظيم

مقدمـــــة

الحمـد للـه رب العالمـين والصـلاة والسـلام عـلى سيدنـا محمد خاتم النبيين وبعد،

تتناول هذه الدراسة تاريخ الدولة العربية الإسلامية وهو التاريخ الذى يبدأ بظهور الإسلام حتى سقوط الخلافة الأموية .

ولاشك أن هذه الفترة هى من أهم فترات تاريخ العرب والإسلام ففى بدايتها ظهر الإسلام الذى جعل من العرب أمة موحدة سياسيا ودينيا بعد أن كانوا شعوباً وقبائل متفرقة، وبدأت الدولة العربية الإسلامية فى الظهور بالمدينة (يثرب) بعد أن هاجر إليها الرسول وحقق الوحدة بين المسلمين ووضعت التشريعات للجماعة الإسلامية والدولة والتى تنظم أمور هذه الدولة وتحدد علاقة الفرد بجماعة الإسلام وعلاقة الفرد بالدولة وحقوق الإنسان وواجباته كما تنظم الأمور الأخرى التى تتعلق بشئون المجتمع السياسية والاقتصادية وهذا وقد أخذت هذه الدولة فى النمو والاتساع تبعا لانتشار الدعوة الإسلامية.

وبوفاة الرسول يبدأ عهد جديد فى تاريخ هذه الدولة هو عهد الخلفاء الراشدين فقد كانت مسألة الحكم أول مشكلة واجهت المسلمين بجزيرة العرب بعد وفاة النبى "صلى" فلم يعهد الرسول لأحد بتدبير أمور المسلمين بعده ولم يترك لهم نظاما محدداً يسيرون عليه وأصبح لزاما على المسلمين أن يقيموا نظاما جديدا ومن ثم نشأ نظام الخلافة وكان أبو بكر الصديق أول خليفة للمسلمين.

وكان الرسول ﷺ قد وضع أساس سياسة التوسع للدولة العربية الإسلامية وعمل على نشر لواء الإسلام خارج حدودها وقد واصل الخلفاء الراشدون من بعده تنفيذ هذه السياسة ووجهوا أنظارهم خارج حدود الجزيزة العربية فأدخلوا فى حوزتهم أعظم دول العالم ونشروا الدين الإسلامى والثقافة العربية فى البلاد التى فتحوها.

على أنه بينما كانت الدولة العربية الإسلامية تسير بخطى واسعة نحو التوسع والاستقرار إذ تعرضت لاضطرابات داخلية من جراء التنافس على الخلافة بين بنى هاشم وأبناء عمهم بنى أمية وتجلى هذا التنافس فى بداية الأمر ومنذ انتخب عثمان ابن عفان خليفة وفضلا عن ذلك فقد تجمعت عدة عوامل أثارت السخط على سياسة الخليفة عثمان وتطورت المعارضة حتى انتهى الأمر بقتله وآلت الخلافة إلى على بن أبى طالب الذى وجد معارضة قوية من بنى أمية بزعامة معاوية بن أبى شفيان وتطورت هذه المعارضة كما أخذت الصعاب تلاحق علياً حتى قتل على يد أحد الخوارج وخلفه إبنه الحسن الذى اضطر إلى عقد صلح مع معاوية وتنازل له عن حقه فى الخلافة ليبدأ عهد في تاريخ الدولة العربية هو العهد الأموى.

هذا وقد تميز العهد الأموى بسمات خاصة غلبت عليه منها انتقال مركز الخلافة إلى بلاد الشام واتخاذ دمشق عاصمة للدولة، وتحويل الخلافة من نظام الشورى إلى نظام الوراثة. وقد سارت الدولة الأموية على سياسة التوسع وامتد

سلطان الدولة الإسلامية فى عهدها شرقاً وغرباً ولكن المعارضة التى وجدتها الدولة منذ قيامها من الخوارج والشيعة، فضلا عن انصراف بعض خلفائها إلى الترف، وظهور روح العصبية القبلية وغير ذلك، كل هذه العوامل والظروف أضعفت الدولة الأموية فانتهز العباسيون الذين كانوا يعملون لأنفسهم هذه الفرصة ونجحوا فى الاستفادة من جميع الظروف وتمكنوا فى النهاية من إسقاط الدولة الأموية وأقاموا على أنقاضها الدولة العباسية.

هذا وقد بدأت هذه الدراسة بالحديث عن ظهور الدعوة الإسلامية فى مكة والمجهود الذى بذله الرسول الكريم فى نشرها ومالاقاه فى سبيل ذلك من شدائد اضطرته إلى الهجرة إلى يثرب.

كذلك تناولت بالبحث سياسة الرسول بعد هجرته إلى المدينة فى تحقيق الوحدة الدينية والسياسة بجزيرة العرب وتوضيح السياسة التى اتبعها لتحقيق مبدأ عالمية الدعوة الإسلامية.

كذلك أوضحت كيف واجه المسلمون مشكلة نظام الحكم التى نشأت عقب وفاة الرسول كما أوضحت سياسة أبو بكر فى مواجهة حركة الردة التى تعرضت لها الدولة الإسلامية وتحدثت عن الفتوح الإسلامية والعوامل التى أدت إلى هذه الفتوح ونتائجها.

وعنيت أيضا بدراسة الأسباب التى أدت إلى الفتنة الكبرى ومقتل الخليفة عثمان ابن عفان وتتبعت الأحداث والتطورات التى انتهت بمقتل الخليفة على بن أبى طالب وانتقال الخلافة إلى معاوية بن أبى سفيان.

وعنيت أيضا بدراسة الدولة الأموية فتحدثت عن الخلفاء الأمويين وأهم أعمالهم وفتوحاتهم ووضحت العوامل والأسباب التى أدت إلى سقوط الدولة الأموية.

وكان لنظم وحضارة الدولة العربية الإسلامية نصيب من عنايتى فجعلت الفصل الثالث خاصاً بدراسة نظم الحكم السياسة والإدارية والمالية والحربية والقضائية.

وبعد: أرجو أن أكون قد وفقت فى عرض معالم التاريخ السياسى والحضارى للدولة العربية الإسلامية فى هذه الدراسة الموجزة، والله أسأل أن يوفقنى لمتابعة البحث فى هذا التاريخ.

تمهيد

أحوال العرب قبل الإسلام

تمهيد

أحوال العرب قبل الإسلام:

انقسم العرب إلى قسمين العرب العاربة والعرب المستعربة و العاربة هم عرب بلاد اليمن والمستعربة هم عرب الحجاز - وقد قامت فى بلاد اليمن قبل الإسلام عدة دول وممالك أهمها معين - قتبات - حضرموت - سبأ - ثم مملكة حمير التى سقطت بالاحتلال الحبشى لبلاد اليمن

أما عرب بلاد الحجاز فهم العرب المستعربة أو العدنانين و بلاد الحجاز كان بها عدة مدن كان أهمها مكة ويثرب والطائف - وكان هناك فى الجزيرة العربية قبل الإسلام دول الشمال وهى الغساسنة والحيرة والأنباط وتدمر.

إذا تكلمنا عن الحالة السياسية فى بلاد العرب قبل الإسلام - نجد أنه لم يكن للعرب نوع من الحكومات المعروفة ولم يكن لهم قضاء يحتكمون إليه يقر الأمن والنظام واتسمت حياة العرب قبل الإسلام بالعصبية القبلية والحروب المستمرة التى عرفت بأيام العرب

أما عن الحالة الإقتصادية فقد عرف العرب الزراعة والصناعة وخاصة بلاد اليمن واشتهر العرب بالتجارة وهى الحرفة الرئيسية عند العرب قبل الإسلام والمعروف أن أهل اليمن جمعوا ثروة كبيرة من احتكارهم التجارة وخاصة فى عهد دولة سبأ - كذلك فقد اشتهر أهل مكة بالتجارة وأصبحت مكة فى القرن السادس الميلادى مركز التجارة بين اليمن والشام والحبشة.

أما عن الحالة الاجتماعية فالمعروف أن العرب عرفوا أنواع كثيرة من الزواج المكروه وشاعت بينهم صفات سئية كثيرة مثل وأد البنات وشرب الخمر والأخذ بالثأر والتفاخر.

وإذا تكلمنا عن الحالة الدينية نجد أن الوثنية كانت هى العبادة الرئيسية عند العرب قبل الإسلام كما انتشرت الديانة المسيحية واليهودية فى بعض أحزاء الجزيرة العربية كما كان هناك الحنيفية وهم أتباع سيدنا إبراهيم على أنه لم يقدر لأى دين من الأديان الفوز والغلبة فى بلاد العرب، فالمعروف أن المسيحية بعد أن ظهرت انقسمت إلى فرق متعددة - وكانت اليهودية دين الشعب المختار ولكن يمكن القول أن المسيحية واليهودية مهدتا الطريق لظهور النبى الخاتم وهو محمد ﷺ :-

وبات العرب يتطلعون إلى دين واحد يجمع شملهم ويهذب نفوسهم فكان الدين الإسلامى.

الفصل الأول

١ - ظهور الدعوة الإسلامية بمكة وموقف قريش منها

٢ - سياسة الرسول بعد هجرته إلى المدينة فى نشر الدعوة الإسلامية

الفصل الأول

١ ـ ظهور الدعوة الإسلامية بمكة وموقف قريش منها

ولد الرسول ﷺ في ٢٠ أبريل ٥٧١م - ١٢ من ربيع الأول في العام المعروف عند العرب بعام الفيل - ونشأ يتيمًا فقد توفى أبوه عبد الله وهو في بطن أمه ثم توفيت والدته وهو فى السادسة من عمره - وكفله فى البداية جده عبد المطلب فلما توفى كفله عمه أبو طالب.

وقد اشتغل محمد فى صباه برعى الغنم كما اشتغل بالتجارة وعرف عنه الصدق والأمانة مما أدى إلى أن السيدة خديجة بنت خويلد أنفذته فى تجارة لها إلى الشام وكانت وقتذاك أرملة توفى عنها زوجها فربحت تجارتها وأبدت رغبتها فى الزواج من محمد فقبل محمد أن يتزوج بها وكان سنه حينذاك حوالى الخامسة والعشرين.

وكان الرسول ﷺ على جانب عظيم من حسن الخلق والمروءة والوفاء بالعهد وكان يكره عبادة الأوثان ولايحضر مجالس اللهو والسمر التى انتشرت وشاعت بين العرب وأنما آثر العزلة والتعبد والتفكير فاعتاد الذهاب إلى غار حراء فى أوقات معينة يتأمل ويفكر فى عجائب الكون واستمر الرسول على ذلك حتى بلغ الأربعين من عمره فنزل عليه الوحى، فرأى جبريل يناديه يامحمد، أنت رسول الله وأنا

جبريل ويقول له "اقرأ باسم ربك الذى خلق ،خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم..."

أسرع محمد إلى البيت وهو يرتجف من الفزع وقصى ماحدث على زوجته التى بشرته بالخير وانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان شيخاً كبيراً يحفظ الإنجيل وقصت عليه ماحدث لمحمد فقال ورقة: هذا الناموس (أى ملك الوحى) الذى نزل على موسى. ثم قال: ياليتنى كنت فيها جذعاً (أى شاباً قوياً) إذ يخرجك قومك. فقال الرسول: أو مخرجى هم؟ فقال ورقة لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك أنصرك. عاد محمد إلى الغار وقد سمع ذات يوم صوتاً من السماء فرفع بصره فإذا هو جبريل فرجع إلى داره يرتجف ويقول دثرونى دثرونى فنزل قوله سبحانه تعالى يحثه على البدء فى الدعوة للإسلام وذلك فى سورة المدثر : بسم الله الرحمن الرحيم "ياأيها المدثر قم فأنذر، وربك فكبر — وثيابك فطهر والرجز فاهجر".

على هذا النحو وفى هذه البيئة التي انتشر فيها ظلام الوثنية بعث الله محمداً صلى برسالة إلى العالم يعلمه الحقيقة الخالدة وهى أنه ليس هناك إلا إله واحد، يدبر ويراقب أعمال الإنسان، ويعاقب ويجازى الطيبين والأشرار بعد الموت كل بمقدار علمه، كما دعت الآية الكريمة محمداً صلى إلى الدعوة إلى نبذ عبادة الأصنام والتسليم لإرادة الله.

بدأ صلى بدعوة أقرب الناس إليه فأمنت به السيدة خديجة وابن عمه على بن أبى طالب ثم أستجاب للنبى بعد ذلك بعض رجال قريش مثل صديقه أبوبكر الصديق وكان لإسلامه آثر كبير فقد أسلم على يديه خمسة من المسلمين الأولين وهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام، وسعد بن أبى وقاص، وعبدالرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيدالله ثم تلا هؤلاء بعض رجال قريش كأبى عبيدة بن الجراح والأرقم بن أبى الأرقم الذى اتخذ الرسول داره مركزاً للدعوة سراً إلى الإسلام وقد سميت الدعوة إلى الإسلام فى هذه المرحلة دعوة الأفراد لأن الرسول كان يدعو كلا من هؤلاء على أنفراد وسموا السابقين الأولين .

الجهر بالدعوة وموقف قريش منها :

استمر الرسول صلى ثلاث سنين يدعو سراً إلى الإسلام كل من يثق فيه ويطمئن إلى استعداده النفسى لقبول الدعوة الإسلامية وكان هو وأصحابه فى تلك الفترة يستخفون من قريش فى صلاتهم وفى الدعوة إلى الدين الإسلامى ولكن الرسول أمر بإظهار دينه وعدم المبالاة بما نصب له المعارضون المستهزئون فنزل قوله تعالى "فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين"، كما قال تعالى "وانذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون"..

أخذ الرسول يفكر فيما يحدث به قريشاً ويستشير ذلك النفر القليل الذى آمنوا به وصدقوه، ثم دعا بطون قريش من فوق جبل الصفا بظاهر مكة فلما اجتمعت إليه قال: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى؟ قالوا نعم ماجربنا عليك كذباً... فقال« إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد إن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين وأنى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيب إلا أن تقولوا لا إله إلا الله». فقال أبولهب تبالك ألهذا جمعتنا فانزل الله تعالى فى أبى لهب و زوجه قوله «تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وماكسب سيصلى نارا ذات لهب، وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد».

بدأت عداوة قريش تظهر ظهوراً جلياً فلو أن الدعوة المحمدية اقتصرت على تطهير النفس وإصلاح الأخلاق لما أثارت دعوته شيئاً من المعارضته ولكن جهره بالدعوة إلى وحدانية الله كان معناه القضاء على عبادة الأوثان التى ورثوها عن آبائهم وأجدادهم وتحطيم دين العرب الموروث والقضاء على مكانة مكة الدينية وانصراف الناس عن الحج وضياع ماكان يتمتع به سدنة الكعبة من ثروة ونفوذ.

ولهذا أبدت قريش استياءها من جهر النبى بالدعوة إلى وحدانية الله تعالى ولجأت إلى مختلف الوسائل لمحاربة الدعوة الإسلامية حتى أتم الله نصره لرسوله وللمؤمنين بالهجرة إلى يثرب.

كان من الوسائل التى لجأت إليها قريش تعذيب المسلمين ولم يقتصر تعذيب قريش على الرجال بل تعداهم إلى النساء ليثنوا النبى عن عزمه على نشر دعوته وكان بعض المسلمين يضطر أن يقول كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان فراراً من أذاهم.

ولما رأت قريش من الرسول الاستمرار والجد فى الدعوة اضطروا إلى الضغط على أبى طالب عم النبى لحمل ابن اخيه على ايقاف دعوته فسار إليه فريق من أشرافهم وقالوا له: يا أباطالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلى بيننا وبينه ولما تكرر ضغط قريش على أبى طالب بعث إلى الرسول فقال له يا ابن أخى أن قومك قد جاءونى فقالوا لى كذاوكذا، فأبق على وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق. على أن الرسول صلى أصر على الاستمرار فى نشر دعوته فقال ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ماتركته. "وقد أعجب أبوطالب بثبات ابن أخيه وشدة إيمانه وقوة عزيمته فقال له أذهب ياابن أخى فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشىء أبداً" وقد شجع هذا القول الرسول وزاد من إصراره وعزمه على المضى قدما فى دعوته.

ولما رأت قريش أن أباطالب قد أبى خذلان رسول الله صلى عرضوا عليه عرضاً آخر فقد مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له. يا أباطالب هذا

عمارة بن الوليد أجمل فتى فى قريش فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولداً فهو لك وأسلم إلينا ابن أخيك الذى قد خالف دينك ودين آبائك فنقتله ورفض أبوطالب هذا العرض من قريش وقال والله لبئس ماتسومونني أتعطونى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم أبنى تقتلونه.

ولجأت قريش أيضا إلى أسلوب الحرب الكلامية ضد الرسول بقصد التشكيك فى رسالته ونبوته فأستعانوا بالنضر بن الحارث وكان بصيراً بثقافات الفرس القديمة فأخذ يروى قصصاً يحاكى به قصص القرآن وكان يدعى بأن محمداً مايقول إلا أساطير الأولين وقد نزل فى ذلك قوله تعالى "وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلاً. قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً".

كذلك قام أهل قريش خلال هذه الحرب الكلامية بترويج إشاعات كاذبة ضد الرسول وإتهامه بأشياء لم تكن فيه فاتهموه تارة بالسحر وتارة بالجنون وتارة بأنه شاعر ووقفوا على مشارف مكة يحذرون كل وارد عليها من ذلك الرجل الساحر الذى فرق بين المرء وزوجه والأب وابنه والأخ وأخيه.

الهجرة إلى الحبشة ولماذا . وموقف قريش

وجربت قريش سلاح الإغراء، فقد عرضوا الملك على النبى شريطة أن يكف عن دعوته ولما باءت وسائلهم بالفشل لجئوا من جديد إلى إلحاق الأذى بأصحاب

الرسول صلى.. لما رأى الرسول ما أصاب أصحابه من البلاء سمح لهم بالهجرة إلى الحبشة لما كان يعهده فى ملكها من العدل والتسامح - ولم يفكر الرسول فى هجرة المسلمين إلى إحدى القبائل العربية لأنها كان ترفض دعوته فى مواسم الحج مجاملة لقريش أو تمسكا بدينها الوثنى وكانت اليمن فى ذلك الوقت مستعمرة فارسية - وكانت الحيرة بعيدة عن مكة وكذلك الشام.

بدأت هجرة المسلمين إلى الحبشة وقد هاجر فى البداية عشرة رجال «وقيل أثنا عشر رجلاً» وأربع نسوة ثم زاد عددهم حتى بلغ حوالى ثلاثة وثمانين رجلاً وسبع عشرة امرأة (وقيل ثمانى عشرة) سوى الصبيان وكان فيهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت الرسول وعبدالله بن عوف وجعفر بن أبى طالب وغيرهم وقد أكرمهم النجاشى وأمنهم على حياتهم.

ولما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى قد استقروا واطمأنوا بأرض الحبشة «اضطربت إذ رأت أن الإسلام قد تمكن من نفوس هؤلاء وأن كثيرا من الناس قد يسارعون إلى الدخول فيه حين يرون أن وجودهم بالحبشة سينجيهم من تعذيب قريش ولهذا إئتمروا على أن يبعثوا منهم رجلين إلى النجاشى ليخرجهم من بلاده فذهب عبدالله بن أبى ربيعة (وقيل عمارة بن الوليد المخزومى) وعمرو بن العاص ولما قابلا النجاشى أخبراه أن هؤلاء المسلمين سفهاء فارقوا دين قومهم وجاءوا بدين ابتدعوه لايعرفوه ولا يعرفه النجاشى وطلب النجاشى هؤلاء المهاجرين

وسألهم عن حقيقة دينهم وتقدم جعفر بن أبى طالب فوصف له حالة العرب قبل الإسلام وبعده وشرح له أن دعوة الرسول ترمى إلى ترك عبادة الأوثان و عبادة الله والتحلى بمكارم الأخلاق وانتهت هذه المحاولة من جانب قريش بالفشل فقد اقتنع النجاشى بموقف المهاجرين ودينهم ورفض أن يسلمهم لقريش وبقى المهاجرين المسلمون ينعمون بالحرية والرعاية فى الحبشة حتى أذن لهم النجاشى بالعودة إلى المدينة فعاد معظمهم وظل بعضهم مقيما بالحبشة إلى السنة السابعة للهجرة .

هذا وقد ظل الرسول بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة مقيما بمكة يدعو إلى الله ولما بلغ قريش إكرام النجاشي للمسلمين فكرت فى وسيلة جديدة تؤذى بها محمداً وأتباعه وعند ذلك لجأت قريش إلى مقاطعة بنى هاشم وبنى عبد المطلب فعاهدوا أنفسهم ألا يتعاملوا معهم فلا يتزوجون منهم ولايزوجونهم من أنفسهم ولا يتاجرون معهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ليقتلوه وكتبوا بذلك صحيفة علقوها في جوف الكعبة وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاث وظل بنوهاشم مهجورين فى شعب من شعاب مكة إلى أن أخذت الرأفة نفرا من القريشيين فأتفقوا على نقض الصحيفة وإخراجهم من الشعب وعاد بنو هاشم والمطلب إلى مساكنهم بعد ما ذاقوه من العذاب.

الهجرة إلى يثرب ،

استمر الرسول فى نشر الدعوة الإسلامية على الرغم مما لاقاه من الشدائد والأهوال وماوافت السنة العاشرة من نزول الوحى حتى أصيب الرسول بوفاة عمه

وحاميه أبى طالب ثم ماتت خديجة بعده وكان موتهما مصيبة وفقد الرسول بذلك نصيرين كبيرين وأصبح بقاؤه فى مكة محفوفاً بالمخاطر وتتابعت على الرسول صلى بموتهما المصائب ونالت منه قريش ولما اشتد أذى قريش عزم على التماس قوم آخرين يكونون اكثر استعداداً لقبول دعوته ويستطيع أن يجد فى بلدهم تربة أشد خصباً وصلاحية فانطلق إلى مدينة الطائف ودعا فريقاً من أشرافها إلى وحدانية الله ولكنهم خذلوه وفضلا عن ذلك فقد أغروا بهم سفهاءهم يرمونه بالحجارة وتجلت مرارة نفسه فى تلك الكلمات "اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين. وأنت ربى إلى من تكلنى إلى بعيد يتجهمنى (يلقانى بالغلظة والوجه الكرية) أم إلى عدو ملكته أمرى إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بى غضبك أو يحل على سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك. " (العتبى ـــ الرجوع عن الإساءة)

وانصرف الرسول من الطائف راجعاً إلى مكة، حين يئس من قبيلة ثقيف ثم قدم مكة وقومه أشد ماكانوا عليه من خلافه وفراق دينه ولما دخل الرسول مكة عاود نشر الإسلام بين أهلها ولم يمض غير قليل حتى أسرى برسول الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس حيث عرج به من الصخرة المقدسة إلى سدرة المنتهى. يقول الله تعالى "سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير". سورة الإسراء آية (١) - وفرضت عليه الصلوات الخمس تلك الليلة

لما رأى النبى أن قريشاً لازالت تعمل على مناوأته فكر الرسول فى التحول عن مكة وصار كلما اجتمعت قبائل العرب فى موسم الحج يقدم نفسه إليهم ويدعوهم إلى الله وإلى الإسلام ولاحت بشائر النصر من ناحية عرب يثرب -« الأوس والخزرج» القبيلتين اليمنيتين اللتين هاجرتا إلى يثرب بعد إنهيار سد مأرب. وكانت بينهما حروب مستمرة كان آخرها يوم بعاث، وكانت الأوس الخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة.

وجدت دعوة الرسول بيئة صالحة فى أهل يثرب الذين وصل إلى علمهم ماكان بين المسلمين وكفار قريش فى مكة من نزاع أدى إلى هجرة جماعة من المسلمين إلى بلاد الحبشة كما علموا بإسلام رجال من بطون قريش المختلفة ومن القبائل الأخرى وكانت هناك صلات وثيقة بين اليهود فى يثرب وبين من جاورهم من الأوس والخزرج حتى إنهم ألفوا أفكار اليهود الدينية وكان لوجود الديانة اليهودية وما فيها من ذكر للوحى ووحدانية الله والبعث والحساب ماأضعف الوثنية فى نفوس العرب فى يثرب وجعلهم أقدر على فهم الدعوة الإسلامية من أهل مكة الوثنيين وعندما رأى أهل يثرب محمداً عرفوا مبلغ الشبه بينه وبين ماذكرته اليهودية فبادروا إلى تصديقه حتى لايسبقهم اليهود .

ولاشك أن حالة المجتمع فى يثرب كانت مهيأة لتقبل الدعوة الإسلامية أذ وجد أهلها فى هذا الدين مايوحدكلمتهم ويجمع شملهم ويقضى على مابينهم من تنازع وبغضاء كما وجدوا فى شخصية الرسول بغيتهم المنشودة فهو الذى يستطيع أن يجمع الأوس والخزرج تحت لوائه وهو ابن آمنة من بنى النجار أحد بطون الخزرج - وكل هذه العوامل جعلتهم أكثر استعداداً لقبول الدين الإسلامى.

وعلى هذا ففى الموسم التالى ليوم بعاث أقبل جماعة من الخزرج للحج فيهم سته من ساداتهم وكانوا ينشدون حليفا لتوحيد كلمتهم مع الأوس أو للتغلب عليهم إذ كان كل منهما يريد أن تكون له الرياسة فلقيهم الرسول عند العقبة (مكان على مقربة من مكة) فسمعوا لدعوته .

ولما عاد هؤلاء إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ودعوهم إلى الإسلام حتى إنتشر بينهم فلم يبق دار من دور الأوس والخزرج إلا وفيها ذكر رسول الله وذلك بفضل استعداد هذه المدينة لقبول الدعوة وما أبداه هؤلاء الدعاة من حماسة فى تأدية رسالتهم.

ولما حل الموسم التالى وافى مكة (فى السنة الثانية عشرة من البعثة) اثنا عشر رجلاً من أهل يثرب لقوا الرسول بالعقبة وبايعوه فى تلك الليلة وقد سميت تلك البيعة (بيعة النساء) و(بيعة العقبة الأولى) وسميت بيعة النساء لوجود (عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بها وهى أول امرأة بايعت الرسول.

يقول عبادة بن الصامت فى بيعة العقبة الأولى « كنت ضمن من حضر العقبة الأولى وكنا أثنى عشر رجلاً فبايعنا الرسول صلى على ألا انشرك بالله شيئاً ولانسرق ولانزنى ولا نقتل أولادنا» وقد أرسل الرسول مع أهل يثرب مصعب بن عمير يقرئهم القرآن ويعلممم الإسلام ويؤمهم فى المسجد.

وفى موسم الحج التالى (السنة الثالثة عشرة من البعثة) خرج من يثرب ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان قاصدين مكة، واجتمع هؤلاء برسول الله فى العقبة بعد أداء الحج وبايعوه على أنه نبيهم وزعيمهم ودعوه للهجرة إلى مدينتهم.

وكان يرافق الرسول فى هذه البيعة عمه العباس مع أنه كان لايزال على دين قومه وأبوبكر وعلى بن أبى طالب وقد عرفت هذه البيعة "ببيعة العقبة الثانية" كما تسمى ببيعة العقبة الكبرى أو بيعة الحرب وفيها استوثق الطرفان كل لنفسه أما الرسول فقد طلب منهم أن يبايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأما أهل يثرب فقد أخذوا عهداً على النبى بأن يكون منهم وأن يكونوا منه وأن يحارب من حاربوا ويسالم من سالموا ولما تمت البيعة طلب منهم الرسول أن يخرجوا له من بينهم إثنى عشر نقيبا ليكونوا كفلاء عليهم فأخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ليكونوا رؤساء عليهم وبهذه البيعة تمهدت للمسلمين الهجرة إلى يثرب.

ولما علمت قريش بنبأ تحالف الرسول مع عرب يثرب فى بيعة العقبة الثانية اضطربت اضطراباً شديداً واشتد أذاها على المسلمين فأذن الرسول لأتباعه بمكة فى الهجرة إلى المدينة وقال "إن الله عزوجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها".

فخرج إليها المسلمون جماعة بعد جماعة حتى لم يبق بمكة إلا رسول الله وأبوبكر الصديق وعلى بن أبى طالب وبعض أقرباء الرسول ومن اعتقله المشركون كرهاً".

ولما علمت قريش بتأهب الرسول للهجرة إلى يثرب اجتمعوا فى دار الندوة للتشاور فى هذا الأمر الخطير فأشار بعضهم بحبسه وبعضهم بقتله وانتهى بهم الرأى إلى أن يؤخذ من كل قبيلة فتى جلد، وأن يعطى كل منهم سيفاً صارما فيضربوه ضربة رجل واحد وبذلك يتفرق دمه فى القبائل فلا يستطيع بنوعبد مناف أن يحاربوا العرب جميعاً.

آخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ورسوله بتآمر قريش فى قوله تعالى "وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين".

بعد أن أمر الله رسوله بالهجرة إتجه إلى أبى بكر الذى طلب صحبة الرسول وخرج الاثنان من باب صغير خلف دار أبى بكر وأمر الرسول على بن أبى طالب أن يبيت فى مكانه فى تلك الليلة وإتجه الرسول وأبوبكر إلى غار بجبل ثَور بأسفل مكة فدخلاه وقد خشى الرسول وأبوبكر أن يلحقهما أذى قريش الذين ما إن علموا بخروج الرسول وصاحبه حتى خرجوا يتتبعون آثرهما حتى وصل بعضهم إلى الغار وإلى ذلك يشير القرآن الكريم "إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى أثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم".

وكانت قريش إذ ذاك تراقب حركات الرسول ولما مضت ثلاث ليال على الرسول وأبى بكر وهما فى الغار أتاهما دليلهما ثم نزلا وركب كل منهما راحلة وسارا فى طريق يثرب حتى وصلا إليها فى ١٦ ربيع الأول (سبتمبر سنة ٦٢٢م).

٢ - سياسة الرسول بعد هجرته إلى المدينة فى نشر الدعوة الإسلامية

وصل الرسول ﷺ إلى المدينة (سبتمبر ٦٢٢م) وكان قد أقام فى قباء قبل أن يدخل المدينة وأسس هناك مسجدها وهو أول مسجد بنى فى الأسلام ثم خرج متوجهاص إلى المدينة حتى وصل إلى دار بنى مالك من بنى النجار وهناك بركت ناقة الرسول صلى فى مكان لغلامين يتيمين من بنى النجار فنزل الرسول صلى فى هذا المكان وأمر أن يبنى فى مكانه مسجداً للمسلمين وبنى إلى جانبه مسكنه وقد صار مسجد الرسول بالمدينة مركزاً للحكومة الناشئة ومقراً لقيادتها وإدارتها.

أصبحت يثرب بعد هجرة الرسول إليها عاصمة الدولة الإسلامية الجديدة وأصبحت تضم بعد هجرة المسلمين إليها المسلمون من الأوس والخزرج الذين عرفوا بالأنصار وبعض مشركى هاتين القبيلتين، واليهود، والمهاجرين وكان كثيرون منهم تجاراً تركوا أموالهم فى مكة فدعا الرسول الأنصار إلى مساعدتهم فواسوهم بالديار والأموال.

كان على الرسول ﷺ بعد هجرته إلى يثرب الاستمرار فى نشر الدعوة الإسلامية وتبليغ الوحى الذى ينزل عليه خاصاً بالأمور التشريعية العامة مثل تقرير

الصوم والزكاة والحج والجانب الخاص أيضا بالأحكام والمعاملات وتنظيم أمور الدولة وحل مشاكلها وعلاقة الفرد بجماعة الإسلام وحقوق الإنسان فى الإسلام وما عليه من واجبات فالدور المدنى يتميز بتناوله للتشريعات التى قام على أساسها المجتمع الإسلامى ومحاولة تنظيم هذا المجتمع فى ظل دولة جديدة هى دولة الإسلام وكان على الرسول بعد هجرته إلى يثرب أيضا أن يعمل على وضع الأسس والوسائل التى ينظم بها الحياة فى المدينة وأن يضع فى حسبانه أيضا أن قريشاً ستبذل أقصى جهودها للقضاء على الدولة الجديدة ويعمل على أن تتوافر له الوسائل والأستعدادات الحربية ليقوم بغزوها والانتصار عليها.

المؤاخاه بين المهاجرين والأنصار:

حاول الرسول تنظيم صفوف المهاجرين والأنصار بالمدينة وإقامة الوفاق بين الفريقين عن طريق تآلفهم حتى لاتثور العداوة بينهم فآخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فجعل كل رجل من المهاجرين يؤاخى رجلا من الأنصار وجعل الأخوين بالتآلف يتقاسمان المسكن وكافة وسائل المعيشية من تجارة أو زراعة ورحب الأنصار بهذا حتى أن بعضهم كانت له زوجتان فيطلق إحداهما ليزوجها لأخيه المهاجر وكانوا يتوارثون بهذا الإخاء إرثا مقدما على القرابة فإذا مات المهاجر ورثه أخوه الأنصارى وإذا مات أحد الأنصار ورثه أخوه المهاجر - ولما شرع الرسول في تنفيذ مشروع المؤاخاة قال لأصحابه. تآخوا فى الله أخوين أخوين ثم أخذ بيد على

بن أبى طالب وقال هذا أخى وأصبح كل واحد من المهاجرين الذين وفدوا إلى المدينة متآخياً مع أحد الأنصار وبهذه المؤاخاة توثقت وحدة المسلمين فى المدينة وتيسرت سبل العيش على المهاجرين بالمدينة بفضل حسن معاملة الأنصار لهم.

وظل التوارث بالمؤاخاة قائما حتى انتصر المسلمون فى غزوة بدر ونزل التشريع الإسلامى بنظام التوارث على أساس قرابة الدم فأنزل الله تعالى فى سورة الإنفال آية ٧٥ "الذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم، وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله إن الله بكل شىء عليم"

كتاب الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار واليهود:

لما استقر الأمر للرسول ﷺ فى المدينة رأى أن يضع نظاماً للحياة العامة فيها لتنظيم تلك الحياة وتحقيق الوحدة بين أهاليها، وقد عرف هذا الدستور الذى قام عليه المجتمع المدنى باسم " الصحيفة " وهى عبارة عن كتاب وعهد ينظم الشئون والعلاقات بين المهاجرين والأنصار ويهود أهل يثرب وهى الجماعات التى كان يتشكل منها مجتمع المدينة انذاك.

وقد تضمنت الصحيفة الأمور الآتية: " أن جميع المسلمين على اختلاف شعوبهم وقبائلهم أمة واحدة " ويتبين ذلك من قوله ﷺ " إنهم أمة واحدة من دون الناس" أى أن المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة وبهذا التقرير ألغى الرسول صلى الصفة القبيلة، أى التعصب

للقبيلة، وصفة المكان والحواجز بين المسلمين وأصبح المسلمون جميعا جماعة وأمة واحدة هى الأمة التى ترعى مبادىء الإسلام من حماية الجار إلى نصرة المظلوم إلى غير ذلك من التكاليف التى وضعها الدين الإسلامى.

أيضا نصت الصحيفة على مبدأ التعاون والتضامن بين الجماعة الإسلامية وأتحاد القبائل جميعها لرد كل عدوان يقع على المدينة من الخارج من قبل قريش ومن يناصرها ويؤكد هذا المعنى قوله «إن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيمة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم». كما قررت الصحيفة أن تكون حرمة المدينة كحرمة مكة أى يحرم فيها مايحرم فى مكة.

كذلك أشارت الصحيفة إلى مايتبع فى فض الخصومات بين أهالى المدينة فجاء فيها ما نصه « وإنه ماكان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عزوجل وإلي محمد رسول الله » ومعنى هذا أنه بمقتضى هذه الصحيفة صار القضاء من حق الدولة وأصبح على القبائل أن تتنازل عن حق الأخذ بالثار فإذا كان هناك نزاع وجب أن يعرض على القضاء الذى يمثله التشريع الإسلامي والرسول صلى. وتضمن الكتاب كيف تعامل قريش التى كانت تناهض وتعادى المسلمين فقال «وإنه لاتجار قريش ولامن نصرها وإن بينهم النصر على من دهم يثرب».

وبصدد اليهود فقد قررت الصحيفة حرية الاعتقاد لليهود وفتح الطريق للراغبين منهم فى الإسلام وكفل لهم التمتع بما للمسلمين من حقوق وجاء ذلك فى النص "وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولامتناصر عليهم وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ولليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم".

وعلى هذا استطاع الرسول بهذا الكتاب أن يضع المبادىء التى كان المهاجرون والأنصار بحاجة إليها ليجمع شملهم ويحدد علاقتهم بعضهم ببعض كما تضمن الكتاب المبادىء الهامة التى يجب على المسلمين اتباعها فى السلم والحرب كما عاهد اليهود وأقرهم على دينهم وأموالهم ليطمئن إلى جوارهم، ويأمن شرهم ومؤامراتهم.

بعد أن نظم الرسول أمور المسلمين فى المدينة وجمع شمل المهاجرون منهم والأنصار كما وضع نظاماً ودستوراً لليهود ليطمئن إلى جوارهم بدأ يواصل جهاده فى سبيل الله وفى سبيل نشر الدعوة الإسلامية وكان المهاجرون والأنصار خير عون له فى نشر دعوته.

وجه الرسول جهوده فى البداية إلى استمالة القبائل المقيمة فى الطريق بين مكة والمدينة إلى جانبه فعقد معها أحلافاً بمعنى معاهدات وكان يرمى من وراء ذلك إلى إيجاد حلفاء له خارج المدينة كما أصبح له أنصار فى داخلها هذا إلى جانب أن

محالفة الرسول لتلك القبائل التى تقيم فى طريق قوافل قريش من شأنها أن تثير روع القريشيين وتجعلهم يخشون بأس المسلمين بالمدينة.

كذلك وجه الرسول همته إلى الوقوف فى سبيل تجارة قريش التى كانت عماد حياتها ولم يغب عنه حرص قريش علي أن تسير قوافل التجارية بين مكة وبلاد الشام فى آمن وطمأنينه ولهذا الغرض أرسل الرسول صلى عدة سرايا لاستطلاع حركات القريشين والوقوف فى طريقهم لاشعار قريش بسيادة الدولة الجديدة وقوتها وأن تجارتها مرهونة برضاء الدولة الإسلامية والسلام معها وأن على قريش أن تغير من سياستها العدوانية مع النبى ومع المسلمين فى المدينة.

وقد بدأت سرايا المسلمين تتجه إلى الطرق الرئيسية التى تمر فيها تجارة قريش من مكة إلى الشام واستمرت هذه السرايا لمدة عشرة أشهر وكانت عبارة عن مظاهرات عسكرية لإظهار قوة المسلمين وكانت قريش ترد عليها بتعزيز الحراسة على قوافلها وهناك سرية إسلامية واحدة من هذه السرايا تعرضت لقافلة قريشية كانت قادمة من الطائف تحمل تجارة وكان يقود هذه السرية عبدالله بن جحش من المهاجرين وكانت مهمتها إستطلاعية وقد مضى عبد الله مع أصحابة حتى نزل بمكان يقال له نخلة فمرت بهم قافلة لقريش تحمل تجارة وذلك فى آخر رجب من السنة الثانية للهجرة فهاجم رجال هذه السرية القافلة القريشية واستولوا على ما بها وعادوا إلى المدينة محملين بالأموال التى غنموها على أن الرسول رفض أن يتسلم ماغنموه ولم يأخذ شيئاً وقال لهم: ماأمرتكم بالقتال فى الشهر الحرام.

وانتهزت قريش فرصة اشتباك المسلمين معهم فى القتال في شهر رجب والذى كان العرب إذ ذاك يعدونه من الأشهر التى يحرم فيها القتال وأخذت تعلن في كل مكانٍ أن محمداً وأصحابه استحلوا الشهر الحرام فأنزل الله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة «يسألونك عن الشهر الحرام، قتال فيه، قل قتال فيه كبير، وصد عن سبيل الله وكفرٌ به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله».

والقرآن الكريم يصرح بأن القتال حرام فى الشهر الحرام ولكن ماقامت به قريش من صد المسلمين عن سبيل الله وإخراجهم من المسجد الحرام أكبر عند الله من القتال فى الشهر الحرام.

ومالبث أن فرض الجهاد على المسلمين فى السنة الثانية للهجرة فنزلت آلاية ٣٩ من سورة الحج ومقررة ومشرعة للحرب فى قوله تعالى "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله" والمراد بهذه الآية أن الله أحل القتال للمسلمين لأنهم ظلموا وأخرجوا من ديارهم لالسبب سوى عبادة الله.

كما أنزل الله تعالى هذه الآية فى سورة البقرة يقرر فيها الجهاد "وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين".

كما قال تعالى أيضا فى سورة البقرة "كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

وفى ضوء هذه الآيات نجد أن الجهاد شرع لأمور منها: تأمين الدعوة الإسلامية وصد من يقف فى سبيلها حتى لايفتن أحد من المسلمين عن دينه.

ثانياً: قيام المسلمين بالذود (الدفاع عن أنفسهم).

ثالثاً: محاربة الذين اضطروهم إلى الخروج من ديارهم بغير حق.

أخذ الرسول ﷺ بعد نزول آيات تشريع الجهاد ينشر الدعوة الإسلامية بين القبائل العربية ويعد العدة لصد كل آعتداد يصيب المسلمين وقد حدثت بعد سرية عبدالله بن جحش وقائع متصلة بين المسلمين والقريشيين فى مكة فأهالى المدينة من المسلمين وعلى رأسهم الرسول كانوا يرون ضرورة القضاء على نفوذ القريشيين حتى يتيسر لهم نشر الدعوة الإسلامية وضم مكة إلى حوزتهم أما أهالى مكة فقد أيقنوا من خطر وجود المسلمين بالمدينة على تجارتهم القادمة من الشام إلى مكة كما رأوا فى انتشار الإسلام خطراً على ديانتهم الوثنية ولذلك وجه كل فريق اهتمامه إلى إضعاف شوكة خصمه والتخلص منه وقامت لذلك وقائع بين المسلمين من جهة وقريش من جهة أخري ومن انضم إليها من القبائل العربية بالحجاز.

غزوة بدر:

كانت هذه الغزوة هي أول صدام كبير بين الإسلام والوثنية، ويرجع السبب فى وقوعها أن الرسول علم بخروج قافلة كبيرة من قوافل قريش إلى الشام بقيادة زعيمها أبي سفيان بن حرب وطلب من المسلمين الوقوف على أخبار القافلة وهى

قادمة من الشام إلى مكة فلما علم بذلك أبوسفيان بن حرب رئيس القافلة أنفذ إلى قريش من يخبرها بمحاولة المسلمين التعرض لتجارتها ثم غير طريقه وسار محاذياً ساحل البحر الأحمر حتى جاوز موقف المسلمين وبهذه الوسيلة استطاع أن ينجو بالقافلة ثم أرسل رجلا يسبقه إلى مكة يستنفر قريشاً لنجدة أموالها ولما علمت قريش بالخطر الذى ستتعرض له تجارتها والتى كانت تقدر بما يساوى خمسين ألف دينار استولى عليهم الذعر والخوف ولذلك صممت قريش على الخروج لقتال محمد وفى هذه الأثناء كان أبو سفيان قد تمكن من النجاة بالقافلة فأرسل إلى قريش من يخبرها بذلك وطلب إليها أن تعود إلى مكة ولكن قريشاً صممت على السير إلى بدر (مكان بين مكة والمدينة) لتظهر قوتها للمسلمين وتقضى على دولتهم.

استشار الرسول أصحابه وأوضح الموقف لهم فوافقه المهاجرون على الحرب ومواجهة العدو وكذلك الأنصار فتابع المسلمون سيرهم حتى إذا وصلوا إلى أدنى ماء من بدر رأى الرسول أن ينزل بهذا المكان فسأله الحباب بن المنذر أعن أمر من الله نزلت هذا المنزل أم هو الرأى والحرب والمكيدة فقال الرسول بل هو الرأى والحرب فأشار عليه أن يمضى بالمسلمين عن هذا المنزل حتى ينزل بهم فى مكان قريب من معسكر المشركين وإن يبنى عليه حوضاً يملأ بالماء ليشرب منه جيش المسلمين واستحسن الرسول هذا الرأى ونزل المسلمون فى الجهة الشرقية من الوادى الذى تقع فيه بدر أما قريش فنزلت فى ثنايا التلال الغربية وكان المسلمون على قلة عددهم يسودهم النظام وقد تعجلت قريش قتال المسلمين واندفع أحد رجالها يريد هدم

الحوض الذى بناه المسلمون وكان هذا إيذاناً ببدء المعركة وكان اللقاء الحاسم فى معركة بدر صباح يوم الجمعة ١٧ من شهر رمضان للسنة الثانية للهجرة وخلال عدة ساعات من القتال انجلى الموقف بنصر المسلمين وهزيمة قريش.

كان لانتصار المسلمين فى هذا المعركة أكبر الأثر فى تثبيت وانتشار الإسلام ورفع الروح المعنوية للمسلمين وعادت قريش مهزومة وقد قتل من رجالها وساداتها وأسر منهم من أسر وتركت الهزيمة جرحا كبيراً فى نفوس القرشيين جعلهم يتعجلون الثأر من محمد وأتباعه.

وما انتهت إليه موقعة بدر من إحراز المسلمين النصر على ثلاثة أمثالهم من القرشيين جعل المؤرخين يعتبرون هذا الأنتصار إحدى معجزات الرسول صلى وفى آيات القرآن مايشعرنا بذلك ففيها أن الملائكة مدوا المسلمين حتى انتصروا على قريش التى تفوقهم فى العدد، فيقول تعالى فى سورة الأنفال "إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين".

وبلغ من اعتزاز المسلمين بانتصارهم فى تلك الغزوة أن سموها غزوة الفرقان، لأن الله سبحانه وتعالى فرق بها بين الحق و الباطل، وأعز الإسلام وأذل الكفر بقتل زعماء قريش وأسر كبرائهم مع قلة عدد المسلمين وكثرة عدد الكفار، كما سموا كل من شهدها من المسلمين بدريا وكانو يعتزون بهذه التسمية ويفخرون.

إستفاد المسلمون من وراء انتصارهم فى موقعة بدر فائدتين إحداهم معنوية تتمثل فى وثوقهم بأنهم على الحق وأن خصمهم على الباطل، وثانيهما مادية وهى الغنائم التى اكتسبوها وكانت كثيرة من بينها إبل ومتاع وثياب وأسلحة وقد قسمها الرسول صلى بين المسلمين الذين اشتركوا فى الموقعة وجعل للورثة نصيب من استشهد وقد أصبح لدى المسلمين بما أسفرت عنه غزوة بدر من غنائم ومن أحكام شرعية تتعلق بشأن توزيع تلك الغنائم قواعد ثابتة يسيرون عليها وقد نزلت فى الغنائم وتوزيعها هذه الآية "واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان".

أما الأسرى فقد عاد الرسول بهم إلى المدينة فمنهم من قتل مثل النضر بن الحارث وعقبة بن أبى مُعَيط وكانا من أشد المؤذين للرسول والمسلمين أثناء مقامهم بمكة وبعض الأسرى قبل النبى أخذ الفدية منه والبعض الآخر الذى ليس لديه مال فقد من عليه الرسول بالإعتاق، وكان فى الأسرى من يجيد الكتابة ويعجز عن دفع الفداء لفقره، فجعل الرسول فداءهم أن يعلم كل أسير منهم عشرة من صبية المسلمين فى المدينة القراءة والكتابة فكان كل أسير يعلم عشرة من الغلمان الكتابة يخلى سبيله.

موقف الرسول من اليهود :الرسول وبنى قينقاع:

كان اليهود قبل ظهور الإسلام قد احتلوا أخصب بقاع الحجاز واستغلوها فى الزراعة والصناعة والتجارة وخاصة مدينة يثرب التى هاجروا إليها منذ زمن بعيد فلما هاجر الرسول إلى المدينة حرص على تحقيق أحد أمرين: إما أن يجذب اليهود المقيمين بها إلى الإسلام أو يكتسب صداقتهم وإخلاصهم مع بقائهم على دينهم وتحقيقا للأمر الثانى كتب كتابا بين فيه مالهم من حقوق وماعليهم من واجبات.

ولكن بدأت عداوة اليهود تظهر للنبى والمسلمين بعد غزوة بدر على الرغم من الدستور الذى وضعه الرسول لتنظيم العلاقة بينهم وبين المسلمين، وكان بنو قينقاع إحدى قبائل اليهود وكانت قد عاهدت الرسول خلال اتفاق الصحيفة أول هذه القبائل المعتديه وكانوا يقيمون فى حى لهم بوسط المدينة ولهم فى هذا الحى سوق كبير أشتهر ببيع الحلى وبدأ النزاع بين المسلمين وبين بنى قينقاع حين قدمت امرأة من الأنصار إلى سوقهم فتحرش بها أحد اليهود فاستغاثت بالمسلمين فأغاثها رجل مسلم قام بقتل الصائغ اليهودى فقام اليهود بقتل المسلم ورفضوا أن يحكموا الرسول فيما حدث بل أعلنوا تحديهم له ونقضوا العهد الذى عقده معهم فلم يكن أمام الرسول ﷺ إلا مقاتلتهم فحاصرهم المسلمون مدة خمسة عشر يوماً لم يستطيعوا بعدها الصمود واضطروا إلى النزول على حكم الرسول وانتهى الأمر بإجلائهم من المدينة.

غزوة السويق :

صممت قريش على الثأر من المسلمين لما أصابهم من الهزيمة فى بدر لذلك فقد خرج أبو سفيان من مكة فى ذى الحجة ليغزو محمداً صلى ومعه مائتين من رجال مكة ووصلوا إلى مكان قريب من المدينة وخرجوا فى السحر وأغاروا على ناحية من نواحى المدينة يقال لها العُريض فحرقوا بها بيتين ونخلا وقتلوا رجلين ثمَّ عادوا مسرعين فخرج رسول الله يتعقبهم حتي بلغ مكان يقال له "قرقرة الكدر" ثم انصرف راجعاً وقد فر أبوسفيان وأصحابه وتركوا مايحملونه من زاد بما فيه سويقهم [(مطحون الحنطة أو الشعير ويؤكل ممزوجاً باللبن والعسل والسمن أو بالماء) وذكر أبن هشام أن المسلمين حين رجع لهم رسول الله قالوا له يارسول الله أتطمع لنا أن تكون غزوة قال نعم ولهذا سميت غزوة السَّويق.

غزوة أحد ٣هـ: صممت قريش على الثأر من المسلمين بعد أن لحقت بها الهزيمة فى موقعة بدر فدعت إلى ذلك حلفائها من ثقيف وكنانه وأعدت جيشاً كبيراً وساروا فى العام الثالث للهجرة نحو المدينة يريدون اقتحامها ولما بلغ النبى قدوم قريش على المدينة استشار أصحابه فمنهم من أشار بالاكتفاء بالدفاع ومنهم من أشار بالخروج من المدينة ومقاتلة قريش وقبل الرسول هذا الرأى وخرج من المدينة وأمر الناس بالتهيؤ لملاقاة العدو وتقدم الرسول بالمسلمين متجهاً إلى جبل أحد خارج المدينة حيث عسكرت قريش ببعض سفوحه وكان مع الرسول حوالي سبعمائة

مقـاتل من المسلمين وكان مع قريش حـوالى ثلاثة آلاف مقاتل وجعل الرسـول جبل أحد خلف ظهره حـتى لا تهاجمه قريش من خلفـه وجعل وراءه الرماة وطلب منهم أن يحمـوا ظهور المسلمين وألا يبرحـوا مكانهم بأى حال من الأحوال حـتى يأمرهم الرسول بذلك واسـتعد الجيشـان كل فى مواقعه وابتـدأت الواقعة بهجـوم من جيش المسلمين على كتائب المشـركين حتي اختلت صفوفـهم وكان النصر حليف المسلمين فى بادىء الأمر فـلما رأى الرماة رسـول الله وأصحـابه متـقدمين فى جـوف عسكر المشركين تركـوا أماكنهم وسارعـوا إلى جمع الغنائم فعـاود المشركون الهجـوم بعد تفرقهم وحاصروا المسلمين من كل جهة وانتهز خالد بن الوليد فرصة خلو الجبل من الرمـاة وأتي المسلمين من خلفهـم وأعمل الرمـاح فى ظهورهم فـدارت الدائرة على المسلمين وحلت بهم الهزيمة بعد النصـروتفرق الناس وهربوا ولم يبق مع رسول الله سوى أربعة عشر مـقاتل والباقون بين قتيل وجريح ومنهزم وتـعرضت حياة الرسول للخطر وأصيب بعدة جـروح وأشيع أنه قـتل وكان لهـذه الإشاعـة آثرها السىء فى نفوس المسـلمين، فضلا عن أنـها أدت إلى اضطراب صفـوفهم، فـقد أضـعفت من حـماسـهم فى قتـال المشركين، غـير أنهـم مالبـثوا أن استـمادوا قوتهم وانشـرحت صدورهـم حين ظهر الرسول أمامهـم سالماً.

استطاعت قريش على هذا النحو أن تأخذ بثأرها من المسلمين فى موقعة أحد وكان عـلى الرســول أن يـعالج هــذا الموقف ويظهر قـوة المسلمين مــن جديد

لذلك أصـــر على مـواجـهة قـريش فى اليوم التـالى من يوم أحـد وأمر بألايخـرج للقتال إلا من حضر الغزوة وسار الرسول بهم حتى وصل إلى مكان على بعد ثمانية أميـال من المدينة فوجد قـريش فى طريق عودتها إلى مكة وظلت قـوات النبى تنتظر خشية أن تعـود قريش ولكن قريش كانت قد واصلت طريقها عائدة إلى مكة فرجع الرسول إلى المدينة.

كان لـغزوة أحد نتـائج سيئة علـى المسلمين فى المدينة فقـد اهتزت مكانتـهم وشمت اليهود والمنافقون لهزيمة المسلمين وكان على الرسول أن يستعيد ثقة المسلمين بأنفـــسهم ويظهـــر قوتـهم أمـــام عـــدوهم. فـبعـد شهرين من أحد أرسل الرسول سرية لمهاجـمة بنى أسد فى نجد ونجحت هذه السرية فى مباغتة العدو وظفر المسلمون بما معهم .

الرسول ويهود بنى النضير :

واستـمرت المواجهة بـين قريش ومحمـد صلى ولقد انتهـز المنافقون واليـهود الفرصة وأخـذوا يستهينون بالمسلمـين وبقوتهم بعد غزوة أحد ومـاتلاها من أحداث وكان على الرسـول أن يأخذ موقفـاً تجاه هؤلاء اليهود وكـان منهم قبيلة بنى النضير الذين توترت العلاقة بينـهم وبين الرسول بعد موقعـة أحد، ويرجع السـبب فى ذلك إلى أن الرسول كـان قد بعث المنذر بن عمرو فى سـبعين رجلاً من الأنصار يـعرفون بالقراء لدعوة أهل نجـد إلى الإسلام فساروا من المدينة حتى نزلوا بئر مـعونة وأنفذوا

أحدهم بكتاب رسول الله إلى عامر بن الطفيل الذى قتل هذا الشخص ثم استعان بقبائل بنى سُليم فى مقاتلة القراء فقاتلوهم ولم ينج منهم إلا عمرو بن أمية الضمرى وبنيما كان هذا الرجل عائدا إلى المدينة لقي رجلين من بني عامر فقتلهما وكان الرسول قد عقد لهما أمانا وحواراً وبعث عامر بن الطفيل إلى الرسول يطلب دية هذين الرجلين فذهب الرسول إلى بنى النضير وطلب منهم أن يعاونوه في دفع دية القتيلين وأظهر اليهود ترحيبهم بالرسول وأصحابه وطلبوا منه مهلة وجلس الرسول بجوار جدار بيت منتظراً ولكنهم اتفقوا على قتل محمد بإلقاء حجر عليه وفطن الرسول إلى المؤامرة فأنتقل من مقامه وبذلك نقض اليهود عهدهم مع الرسول فحكم عليهم بالجلاء عن المدينة وبينما يستعدون للرحيل جاءهم رسولان من عند عبدالله بن أبى بن سلول يطلب منهم عدم الجلاء ومقاومة محمد فأوقف اليهود استعدادهم للرحيل وأخذوا فى الاستعداد للقتال فأسرع الرسول بمحاصرة حصونهم خمسة عشر يوماً انتهت بطلبهم للصلح فصالحهم على الخروج من ديارهم ولهم ماحملت الإبل من أموالهم ومتاعهم ولرسول الله أرضيهم ونخلهم وأسلحتهم وتوجه غالبية اليهود إلى خيبر وبعضهم إلى الشام.

غزوة الأحزاب أو الخندق سنة ٥ هـ :

وقعت هذه الغزوة فى السنة الخامسة للهجرة ويطلق عليها غزوة الخندق نسبة إلى الخندق الذى أحاط به الرسول المدينة ليحول دون مهاجمتها ولصد العدو كما

عرفت بغزوة الأحزاب لانضمام جماعات من القبائل العربية واليهودية إلى قريش في محاربة المسلمين.

لما أجلى الرسول يهود بنى النضير عن ديارهم بالمدينة ورحلوا إلى خيبر عزموا على الانتقام من محمد وأصحابه ومن ثم ذهبوا يؤلبون عليه سائر العرب وبدأوا بقريش التى اتفقت معهم على الحرب ثم ذهبوا إلى غطفان وبنى مره وأشجع وبنى أسد وكل من له ثأر عند المسلمين فأخذوا الموافقة منهم على حرب محمد صلى فى السنة الخامسة للهجرة، وبذلك وجد حلف قوى قوامه قريش وغطفان ببطونها المختلفة واليهود المقيمون بخيبر وكان لكل جماعة قائدها فأبوسفيان بن حرب قائد قريش وحلفائها من الأحابيش وبنى كنانه وتهامة، وعيينة بن حصن الفزارى قائد غطفان و حي بن أخطب قائد اليهود.

وفى الموعد المحدد للخروج خرج جيش الأحزاب لمهاجمة المدينة فى عشرة آلاف مقاتل وستمائة فارس بقيادة أبى سفيان بن حرب- ولما علم الرسول بخروج قريش وحلفائها إلى المدينة وكثرة عددهم دعا المسلمين وأخبرهم بما وصل إليه من أمر العدو وشاورهم أيخرج من المدينة أم يظل بها، فكان الرأى الأغلب إلايخرجوا إلى عدوهم وأن يلتزموا خطة الدفاع، وأشار سلمان الفارسى على الرسول بحفر خندق حول المدينة، من النواحي التى يمكن للعدو أن يأتيها منها ولم يسمل الخندق الناحية التى كان يهود بنى قريظة يقيمون بها اعتمادا على حصونهم بها وتعهد اليهود بالدفاع عن ناحيتهما طبقاً لأتفاق الصحيفة.

وأعجب الرسول برأى سلمان الفارسى وركب مع بعض أصحابه ليرتاد موضعاً ينزله فرأى أن ينزل بسفح سَلع وهو جبل بالشمال الغربى من المدينة ثم دعا المسلمين ودلهم على الموضع الذى إرتاده لهم لحفر الخندق وعين لكل قبيلة حدا يحفرون إليه واشتغل معهم بنفسه فى الحفر ولما تم حفر الخندق عسكر الرسول وأصحابه فجعل جبل سَلع خلف ظهره والخندق أمامه وحاولت قوات الأحزاب عبور الخندق للوصول لقوات المسلمين دون جدوى ولذلك حاولت قريش استمالة بنى قريظة وأقنعوهم أن من مصلحتهم نقض العهد الذى بينهم وبين الرسول والانضمام إلى جانب قريش ونجحت قريش ونقض بنى قريظة حلفهم مع الرسول ولما علم الرسول أن بنى قريظة نقضت مابينه وبينها من عهد وتأهبت مع قريش لحرب المسلمين اشتد ذلك عليه وعهد إلى فريق من جيش المسلمين بحراسة المدينة وقد أقبل القرشيون وحلفاؤهم فى هذه الأثناء نحو الخندق وحاولوا اقتحامه ولكن المسلمين ردوهم على أعقابهم.

ولما اشتد البلاء على المسلمين بسبب ذلك الحصار المفروض عليهم رأى الرسول أن الحيلة التى اتبعتها قريش لاستمالة بنى قريظة إلى جانبها يستطيع أن ينقضها بحيلة مثلها فعهد إلى نعيم بن مسعود الغطفانى بتفريق كلمة الأحزاب وكان قد قدم مع قومه لمحاربة المسلمين فهداه الله إلى الإسلام وأتى النبى ليلاً وأعلن له إسلامه كما طلب إليه أن يكلفه بمايريد فقال له الرسول: إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة.

عمل نعيم بن مسعود على تشكيك الأعداء بعضهم فى بعض فزين لليهود من بنى قريظة أخذ رهائن من قريش وحلفائهم ليضمنوا بذلك عدم تخلى الحلفاء عنهم، ثم أخبر قريش بأن اليهود يريدون أخذ رهائن منهم لتسليمها لمحمد كدليل على وفائهم له، ولما طلب اليهود هذه الرهائن رفض الحلفاء وساءت العلاقة بين الطرفين وفعلت هذه الوقيعة فعلها فى الأحزاب وتأكدت قريش وغطفان من غدر اليهود بهم فعزموا على الرحيل وكان للعوامل الطبيعية أيضا أكبر الأثر فى ذلك، فقد هبت ريح عاتية عصفت بمعسكرهم فقرر أبوسفيان رفع الحصار والرحيل عن المدينة. وأنزل الله تعالى فى سورة الأحزاب يذكر نعمته على المسلمين، "ياأيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنوداً فأرسلنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها".

وهكذا انتهت غزوة الأحزاب أو الخندق دون أن تكلف المسلمين خسائر تذكر فى الأرواح وكان لهذه الغزوة أثر كبير فى سرعة انتشار الإسلام بين قبائل العرب كما ظهرت فى هذه الغزوة مقدرة الرسول الحربية ومرونته السياسية إذ أنفذ مشورة سلمان الفارسى بحفر الخندق وهو من الأعمال الحربية التى لم تعرفها العرب من قبل حتى لقد دهشت قريش عندما رأته وقال قائلهم "والله إن هذه لمكيدة ماكانت العرب تكيدها". ولما أطمأن الرسول إلى أن الأحزاب رحلت إلى بلادها أذن للمسلمين بالانصراف إلى منازلهم بالمدينة فعادوا فرحين مسرورين بعد أن دام حصار الخندق ما يقرب من ثلاثين يوماً.

موقف الرسول من بنى قريظة :

كان انضمام بنى قريظة إلى قريش أثناء غزوةالأحزاب يعنى نقض العهد مع الرسول وممالأة الأعداء عليه فلما انتهت غزوة الخندق رأى الرسول ضرورة معاقبة بنى قريظة على خيانتهم ورأى الرسول بعد موقفهم العدائى منه أن وجودهم بالمدينة خطر عليه فحاصرهم الرسول خمسا وعشرين ليلة حتى نزلوا على حكمه بعد أن أجهدهم الحصار ولما كان بنو قريظة حلفاء الأوس فقد طلبوا من الرسول أن يعاملهم كما عامل بنى قينقاع وبنى النضير أى أن يخرجوا عن المدينة بدلا من قتلهم «فأبى الرسول لأنه رأى أن بنى النضير بعد أن أجلاهم عن المدينة ألبوا عليه الأحزاب ورأى أنه لابد التخلص منهم» ثم قرر الرسول النزول على حكم سعد بن معاذ وهو من الأوس قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء. فوافق الرسول على حكمه وأمر الرسول بقتل رجال بنى قريظة وكانوا نحو سبعمائة ولم يقتل من نسائهم إلى امرأة واحدة لتورطها فى جريمة قتل

وقد قسم الرسول أموال بنى قريظة وسباياهم بعد أن عزل الخمس لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل.

وكان للتخلص من بنى قريظة وطرد اليهود من المدينة نتائج بالغة الأهمية لدولة الرسول الناشئة فقد تخلص المجتمع الإسلامى من عناصر الغدر والخيانة وأصبح على الرسول صلى أن يتفرغ لعدو واحد يتمثل فى قريش وحلفائها بدلا من

التصدى لعدوين وتمكن الرسول أيضا بعد التخلص من اليهود فى المدينة أن يتفرغ لإدارة شئون المسلمين وأن يوضح لهم شريعتهم ويفسر لهم القرآن الكريم وينظم العلاقة بين أفرادهم فقدكان على الرسول أن يضع الأسس للدولة الجديدة فى مختلف نواحى الحياة بمانزل عليه من قرآن ولم ينفرد الرسول برأيه فى الحكم بل اتخذ له مستشارين من صحابته فى إدارة شئونها فيما لم ينزل فيه قرآن وبدأت تتضح معالم الدولة الإسلامية وأسسها وأركانها وتشريعاتها فى عهد الرسول ﷺ.

صلح الحديبية :

رأى الرسول صلى بعد أن استقر له الأمر فى المدينة أن يظهر قوته للجزيرة العربية كلها ويظهر كذب قريش فى ادعائها أن محمداً لا يعظم البيت الحرام ولا يدعو الناس للذهاب إليه والطواف حوله ولهذا فكر فى دخول مكة معتمراً فأمر أصحابه بالسير إليها لأداء العمرة فلبوا طلبه فى ذى القعدة من سنة ٦ هـ وخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار وقد بلغ عددهم ما يقرب من ألف وأربعمائة وليس معهم سلاح إلا السيوف فى أغمادها ولاشك أن الرسول كان يدرك فى قرارة نفسه أن قريش لن تسمح له بدخول مكة لأداء العمرة. وبالفعل لما بلغ أهل مكة خروج الرسول اشتد بهم الذعر وارسلت قريش قوة استطلاعية فوجدوا الرسول يعسكر بمكان يقال له الحديبية وبينما الرسول معسكراً بالحديبية أرسلت إليه قريش بعض رسلها ليحملوه على العدول عن دخول مكة وبينوا له الخطر الذى سيلحق به إذا ما

حاول دخولها عنوة، ورأى الرسول من ناحيته أن يفاوض قريش فى أمر دخوله مكة لأداء العمرة فندب عثمان بن عفان للذهاب إلى قريش لمكانته فيهم وليتعرف السبب فى منعهم المسلمين من أن يطوفوا ببيت الله ويعظموه ولما لم يعد عثمان من مكة بعد ثلاثة أيام ذاع بين المسلمين أنه قتل عندئذ تأهب الرسول لقتال قريش وبايعه من كان معه من المسلمين على حربها وتعرف هذه البيعة ببيعة الرضوان ولما تبين كذب إشاعة مقتل عثمان وأصحابه بعودتهم للحديبية رحب الرسول بالتفاوض مع قريش التى رأت أن مناصبة المسلمين العداء وهم معسكرون على مقربة من مكة لايجديها نفعاً فأرسلت وفدا برئاسة سهيل بن عمرو مفوضاً من قبلها للاتفاق على حل يرضى الطرفين وقد انتهت المفاوضات بالنجاح وتوصل الطرفان إلى ما عرف بصلح الحديبية الذى كانت أهم شروطه: أن يرجع محمد وأصحابه فى عامه هذا عن مكة دون أداء العمرة، على أن يعودوا إليها فى العام المقبل فتخلى قريش مكة لهم يطوفون بالبيت ويؤدون مناسكهم، وأن تعقد هدنة بين الطرفين مدتها عشر سنوات يأمن فيها كل من الطرفين صاحبه وأنه من أراد من القبائل أن يدخل فى حلف محمد دخل ومن أراد أن يدخل فى حلف قريش دخل وأنه من جاء إلى محمد من أهل مكة دون إذن وليه رده إليهم، ومن جاء من أصحاب محمد إليهم لايردوه إليه.

وشهد على هذا الصلح رجال من الفريقين وكتبه على بن أبى طالب. ولم يكن المسلمون راضين عن تلك الشروط ومن بينهم عمر بن الخطاب الذى تحدث

بذلك إلى رسول الله وسأله: يارسول الله ألست برسول الله، قال بلى، وسأل ثانيا: أولسنا بالمسلمين، قال بلى، فسأل ثالثا: أوليسوا بالمشركين قال: بلى، فصاح عمر مستنكراً فعلام نعطى الدنية فى (ديننا) وكان لابد من حسم القضية امام عمر وغيره مكان رده صلى أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى* فعلم المسلمون أن الأمر ليس أمر مشورة ومفاوضة وإنما هو وحى من الله سبحانه وتعالى فتابوا إلى الله وأيدوا ما فعله الرسول وبعد أن تمت كتابة شروط الصلح أعلن الحاضرون من خزاعة دخولهم فى عهد محمد وعقده ثم قام الحاضرون من بنى بكر وأعلنوا دخولهم مع قريش فى عهدها وعقدها.

ولا شك أن هذا الصلح الذى اعتبره بعض المسلمين مهيناً لهم قد أظهر للمسلمين كياناً سياسيا اعترفت به قريش مماأعطى القبائل الحرية فى التحالف معهم و بصدد البند الأول فإن رجوع المسلمين عن مكة هذا العام بدون عمرة هو تنازل مؤقت وتضحية بسيطة من جانب النبى كسب من ورائه حقا مشروعا تمتع به المسلمون فى العام التالى واكتسب بموجبه اعتراف رسميا من قريش بدولته وبحقه وحق اتباعه فى الحج إلى مكة.

أما الشرط الذى يلزم برد مسلمى قريش لم يكن ليصيب المسلمين بضرر كبير ذلك لأن الرسول صلى رأى أن يترك هؤلاء ودينهم حتى يكون افتتان قريش لهم تثبيتا لإيمانهم ومن ناحية أخرى يمكن أن يكون هؤلاء الأفراد شوكة فى جانب

المشركين حيين يتجمع هؤلاء فيكونون عصبة تضايق قريش وكان الرسول يدرك أن من دخل، الإسلام لايمكن أن يرتد عنه أبدا مهما كان عليه من ضغوط.

على أن الأمر كان يختلف بالنسبة للنساء إذ رفض النبى طلب قريش رد نساء آتته مسلمات وقد أقام النبى صلى هذا الرفض على أساس قوله تعالى "فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار".

وأمر الرسول بعد توقيع الصلح أتباعه بنحر الهدى فى الحديبية والتحلل من الإحرام والعودة إلى المدينة وفي الطريق أنزل الله تعالى قرآنه مؤكدا النصر الذى حققه الرسول على قريش فى قوله تعالي فى سورة الفتح "إن فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليه ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزاً". وقد سر المسلمون بنزول هذه السورة وأقبلوا على الرسول يهنئونه وأطمأنوا أن صلح الحديبية فتح مبين.

ولا شك أن عقد صلح الحديبية قد حقق للرسول ماكان ينشده فقد تفرغ لنشر الإسلام بين القبائل العربية ومحاربة اليهود فى خيبر.

وقد شهد العام السابع للهجرة تحولا كبيرا فى تاريخ الدعوة الإسلامية التى أخذت تنتشر بين قبائل العرب فأعتنقت خزاعة الإسلام، وقد احترمت قريش عهدها للمسلمين بأداء العمرة فى العام السابع من الهجرة وهو العام

التالى لصلح الحديبية ولما دخل المسلمون مكة نفذت قريش ما أخذته على نفسها فصعدت فى التلال حيث ضربت الخيام حتى لايقع مايمكر صفوا العلاقات بين الطرفين وقد سمحت لهم قريش بالبقاء فى مكة ثلاثة أيام أتموا خلالها فرائض العمرة ثم عادوا إلى المدينة فى آخر سنة ٧هـ وبعد قليل فرض عليهم الحج وأصبح ركنا من أركان الشريعة الإسلامية.

وأخذت قريش بعد صلح الحديبية تغير نظرتها إلى النبى صلى وتغير حكمها عليه وصارت تعجب فى نفسها بعلو شأنه ونجاحه السياسى مما حمل بعض رجالها كعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة بن أبى طلحة على الهجرة إلى المدينة ومبايعة الرسول على الإسلام، وفضلا من ذلك فإنها أيقنت من عجزها عن القضاء على نفوذه ودعوته بعد أن جربت معه كل وسائل العنف من اضطهاد ومحاربة وتأليب قبائل العرب عليه.

الرسول ويهود خيبر:

لم ينته خطر اليهود ببلاد الحجاز بإجلائهم عن المدينة فرأى الرسول بعد أن عقد مع قريش صلح الحديبية أن يهاجم خيبر حيث تتجمع فلول اليهود وكان الخطر من قبلهم على المدينة لايزال متوقعا فقد كانت هذه الجموع تسعى لتأليف جبهة يهودية كبرى تتألف منهم ومن يهود وادى القرى ويهود تيماء ولا يبعد أن يستعين هؤلاء اليهود بقوة خارجية لضرب المسلمين - فتأهب الرسول للخروج إليهم فى

السنة السابعة للهجرة وأمر أصحابه بالتهيؤ للغزو ثم سار قاصدا خيبر وكان يهود خيبر يقيمون بحصون تتميز بمناعتها وقوتها وهى حصون السلالم والقموص والنطاة والقصارة والشق والمربطة وفيها عشرون ألف مقاتل وكان القموص من أشدها وأمنعها وقد باغت الرسول اليهود بغزوه فلم يشعروا إلا والمسلمون يبيتون أمام حصونهم ثم دار القتال بين الفريقين وهاجم المسلمون حصون اليهود حصناً بعد حصن وتمكنوا من فتح بعضها عنوة كما أخذوا البعض الآخر صلحا ومن الحصون التى فتحها المسلمون عنوة حصن الشق والنطاة وحصن ناعم، واستولى المسلمون على حصون الوطيح والكتيبة والسلالم صلحاً.

وقد أصبحت الحصون التى فتحت عنوة ملكاً للمسلمين أما ما أخذ صلحاً فقد أبقاهم الرسول على أرضهم يزرعونها مناصفة النصف للمسلمين والنصف الآخر لليهود، كذلك صالح الرسول يهود فدك ويهود وادى القرى على نفس ما صالح عليه يهود خيبر أما يهود تيماء فصالحهم على أن يدفعوا الجزية.

وعلى هذا النحو انتهى خطر اليهود فى شبة الجزيزة العربية وأصبح للمسلمين أراضى مملوكة خارج المدينة يجبون منها الخراج. مما أدى إلى اتساع السلطان السياسى للدولة الإسلامية.

توجيه الدعوة الإسلامية إلى سائر بلاد العرب وخارجها.

رأى الرسول بعد تخلصه من يهود المدينة وعقده صلح الحديبية مع قريش أن يوجة نظره خارج بلاد الحجاز لينشر بها الدعوة الإسلامية فأخذ فى السنة السابعة للهجرة فى إرسال رسله إلى قبائل العرب وأمراء النواحى، و إلى ملوك الدول المعاصرة له يدعوهم إلى الإسلام واستطاع الرسول بسياسته التى اتبعها لتعميم الدعوة الإسلامية أن يمهد السبيل لتوحيد بلاد العرب سياسياً ودينياً.

أرسل الرسول إلى قيصر الروم (هرقل) وبعث الرسول إلى كسرى فارسى، كما أرسل إلى أمير البحرين وإلى أمير عمان، وأرسل إلى نجاشى الحبشة، كذلك وجه الرسول إلى المقوقس حاكم مصر من قبل هرقل أمبراطور الروم كتاباً كما أرسل للملوك الغساسنة بالشام والمناذرة بالعراق وقد رد بعضهم على الرسول رداً جميلاً بينما قام البعض الآخر بتمزيق الكتب وإيذاء الرسل.

فهذه الكتب التى وجهها الرسول صلى إلى أمراء العرب والملوك المعاصرين توضح لنا سياسته فى العمل على تعميم نشر الدعوة الإسلامية كما تثبت حرصه على تحقيق ماورد فى القرآن من مطالبة الناس جميعاً بقبول الإسلام مثل قوله تعالى فى سورة الفرقان: "تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً" وفى سورة الأعراف "قل ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً".

غزوة مؤته سنة ٨هـ :

اتبع الرسول دعوته السلميه لنشر الإسلام خارج بلاد الحجاز بغزو الأراضى الجنوبية لبلاد الشام حيث كان يقيم الغساسنه فجهز الرسول حملة تألفت من ثلاثة آلاف مقاتل وسارت الحملة فى السنة الثامنة للهجرة إلى غايتها عند حدود الشام ووصلت أخبارها لهرقل امبراطور الروم فاستعد للقاء هذا الجيش العربى بجيش كبير بلغ عدده مائة ألف من الجنود المسلحين وقاد هذا الجيش بنفسه وآلتقى بجيش المسلمين عند قرية مؤته على تخوم البلقاء (بالشام) وهناك وقعت معركة سريعة أبدى المقاتلون المسلمون فيها شجاعة فائقة ولكنها انتهت بانسحاب جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد الذى عاد بمعظم الجيش سالماً إلى المدينة بعد أن استشهد بعض المسلمين بما فيهم قواد المعركة (زيد بن حارثة - وجعفر بن أبى طالب).

فتح مكة « رمضان سنة ٨هـ » :

كان الرسول ﷺ يعمل على انتهاز الفرص لتصفية العلاقة بينه وبين قريش واتمام النصر عليها فلما بلغه بعد غزوة مؤته أنها نقضت صلح الحديبية بإمدادها بعض قبائل بنى بكر بالرجال والسلاح فى الحرب التى قامت بينها وبين حليفته خزاعة عول على انتهاز هذه الفرصة للقضاء على مناوأتها وتحقيق رغبته فى دخول مكة وضمها إلى الدولة الإسلامية.

على أن قريش مالبثت أن ندمت على معاونتها بنى بكر ورأت أن مافعلته

نقض صريح للعهد الذى بينهم وبين الرسول فاستقر رأيهم على أن يبعثوا أبا سفيان بن حرب إلى المدينة لمقابلة الرسول ومحاولة تثبيت العهد فتوجه أبو سفيان إلى الرسول ولكن الرسول لم يستجب إلى طلب أبى سفيان فى تجديد معاهدة الحديبية ومد أجلها.

وخرج الرسول فى السنة الثامنة من الهجرة على رأس جيش كبير وكان يرى إذ ذاك إن إخضاع قريش أصبح أمراً ميسوراً وقد رآت قريش أنه لامفر من الإستسلام الذى يحفظ لها كرامتها فخرج بعض كبار رجالات قريش لملاقاة الرسول قبل دخوله مكة يعلنون له دخولهم فى الإسلام مثل أبو سفيان بن حرب والعباس بن المطلب عم النبى ولقد أعطى الرسول الأمان لمن يدخل دار أبى سفيان تكريما له كما أعطى الأمان لمن أغلق عليه باب داره أو دخل المسجد مما أدى إلى إسراع بعض أشراف قريش إلى الإسلام ولم تقع معارك كبيرة أثناء فتح مكة بين المسلمين وبين قريش سوى بعض مناوشات قليلة بين فريق من قريش وجيش خالد بن الوليد الذى دخل مكة من أسفلها وكان الرسول قد حرص من جانبه على أن يفتح مكة دون إراقة دماء

ودخل الرسول مكة منتصراً رافعاً راية التوحيد وطاف هو ورجاله حول الكعبه محطماً للأصنام والأوثان التى أحاطت بها ثم جاءته قريش وأسلموا بين يديه وبايعوه على السمع والطاعة لله ولرسوله وعامل الرسول القرشيين معاملة طيبة فأصدر عفواً عنهم وقال لهم إذهبوا أنتم الطلقاء لذلك سمى أهل مكة الطلقاء.

وكان فتح مكة وإستيلاء المسلمين على البيت الحرام من أهم العوامل التى ساعدت على نشر الإسلام فقد اعتقدت القبائل التى رفضت الإسلام إن المسلمين ترعاهم عناية الله فسارعوا إلى الإسلام ودخلوا فيه أفواجاً.

غزوة حنين سنة ٨هـ.« بعد فتح مكة »:

كان لقريش حلفاء مثل ثقيف وهوازن وكانت تربطها بقريش علاقات فلما قضى الرسول على قريش ومقاومتها رأت هذه القبائل أن الرسول لابد أن يفكر فى مهاجمتها لذلك تجمعت ثقيف وهوازن لمحاربة المسلمين وخرجت جموع القبيلتين تريد مكة ونزلت هذه القوات عند حنين على بعد ثلاثة أميال من مكة طريق الطائف وخرج الرسول فى جيش عظيم عدتهم أثنا عشر ألفاً "وقيل عشرة الاف" من المهاجرين والأنصار ووصلوا إلى حنين وهناك كمنت قوات ثقيف وهوازن لقوات المسلمين وأخذتهم على غره وكان المسلمون قد أعجبتهم كثرتهم وكره الرسول ذلك منهم ففزع المسلمون واضطربت صفوفهم وكادت الهزيمة أن تحل بهم ولكن رسول الله ثبت فى الميدان وأخذ ينادى المسلمين فأقبلوا إليه والتفوا حوله فانقلبت هزيمة المسلمين نصراً وفتح الله على نبيه وأيده بجنود من الملائكة وولت هوازن وثقيف مدبرين أماهم تاركين أموالهم ونسائهم ودراريهم. ولقد صور الله تعالى معركة حنين وحال المسلمين فيها بقوله تعالى فى سورة التوبة "لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم، فلم تغن عنكم شيئاً، وضاقت عليكم الأرض

بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها".

وقد هرب بعض المنهزمين إلى الطائف وبعضهم إلى نخلة وأوطاس تاركين أموالهم وذراريهم غنيمة للمسلمين فتتبعهم المسلمون إلى هناك ليقضوا على مقاومتهم ثم اتجه الرسول إلى مدينة الطائف لإسقاطها وكانت إذ ذاك محصنة يحيط بها سور فقام الرسول بحصارها مايقرب من خمسة عشر يوماً ثم اضطر لرفع الحصار عنها والانصراف لحلول شهر ذى القعدة وهو الشهر الحرام.

وانصرف عائداً إلى الجعرانة ليقسم سبى أهل حنين وغنائهم وقدم على الرسول أثناء إقامته بالجعرانة وفد هوازن وأخبروه بإسلامهم وإسلام قبيلتهم وتوسلوا إليه أن يرد عليهم ذراريهم وأموالهم فوافقهم الرسول على رد النساء والذرارى، أما الأموال فكانت قد وزعت على المؤلفة قلوبهم من كبار القرشيين وغيرهم من العرب الذين أسلموا حديثاً ولم يكن فى إمكانه استعادتها منهم.

لم تسارع قبيلة ثقيف إلى الدخول فى الإسلام كما فعلت حليفتها هوازن بل احتفظت بوثنيتها وتملكها شىء من الزهو حين انصرف جيش المسلمين دون أن يفتح بلدهم ولكن بعض زعمائهم مالبثوا أن وقفوا على حقيقة الحال فى جزيرة العرب ورأوا أن المسلمين أصبحوا قوة كبيرة بها وأن من مصلحتهم الدخول فى الإسلام ولذلك استقر رأيهم على أن يبعثوا إلى الرسول بالمدينة وفداً وقدم الوفد على

الرسول فى شهر رمضان سنة ٩هـ يعرضون إسلامهم مقابل شروط اشترطوها منها أن يعفيهم من فرض الصلاة وأن يترك لهم معبودهم اللات ورفض الرسول شروطهم واشترط عليهم دخول الإسلام دون أية شروط وفى النهاية وافقوا على ذلك وأقبل وفد ثقيف على تعلم شرائع الإسلام بعد أن أقنعهم الرسول بأن الدخول فى الدين الإسلامى يستلزم اتباع جميع أحكامه وقد جعل الرسول عثمان بن أبى العاص الثقفى أميراً عليهم وخرج وفد ثقيف من المدينة قاصدين بلدهم لينشروا الدعوة الإسلامية بين قومهم وسرعان مادخل أهل الطائف فى دين الله وأصبحوا بعد إسلامهم من أخلص العرب للدين الإسلامى وأشدهم حرصاً على الذود عنه.

غزوة تبوك ٩هـ :

فى هذه السنة بلغ الرسول أن الروم تجمعوا على حدود فلسطين لقتال المسلمين ومعهم بعض عرب الغساسنة فدعا المسلمين إلى الجهاد وأعلن الرسول أن غزوته ستتجه إلى تبوك على حدود دولة الروم وقد عرف هذا الجيش (جيش المسلمين) بجيش العسرة فقد قامت عقبات فى سبيل إعداده منها ماتعرض له المسلمون من جدب خلال الأشهر الأولى من العام التاسع الهجرى، وشدة حرارة الصيف التى جعلت من السفر الطويل عبر الصحراء إلى حدود الشام أمراً بالغ المشقة وأنفق الصحابة أموالاً كثيرة فى تجهيز هذا الجيش وحين وصل الرسول إلى تبوك لم يجد هناك أثر لقوات الروم فأقام هناك عشرين ليلة دون أن يظهر الروم ثم

عاد الرسول إلى المدينة بعد أن أظهر قوة المسلمين فاضطر أمراء الشام إلى مصالحة الرسول فجاء صاحب أيلة (إيلات الحالية) واتفق مع الرسول على أن يدفع الجزية وجاءه أهل الأردن وأثناء إقامة الرسول بتبوك كان الرسول قد بعث بقوة يقودها خالد بن الوليد إلى دومة الجندل وأجبر خالد ملكها على أن يذهب إلى تبوك ويعقد معاهدة مع الرسول يتعهد فيها بدفع الجزية. وعلى هذا حققت غزوة تبوك نجاحاً دون الدخول فى معركة فاصلة مع الروم.

تحقيق الوحدة الدينية والسياسية بجزيرة العرب :

ظهرت بوادر الوحدة الدينية والسياسية بجزيزة العرب بعد عودة الرسول من تبوك فى السنة التاسعة للهجرة حيث أخذت القبائل العربية تفد إليه معلنة إسلامها عن طوع واختيار وفى ذلك يقول ابن هشام "لما افتتح رسول الله مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه".

ولاشك أن فتح مكة وخضوع قريش للدولة الإسلامية كان له أثر كبير فى حمل القبائل العربية على الإسراع فى قبول الدعوة الإسلامية بعد أن كانوا من أشد المعارضين لها فسارت وفودها من جهات جزيزة العرب المختلفة قاصدة المدينة لتعلن دخولها فى الإسلام وطاعتها للرسول بعد أن رأت إنه لاقبل لها بمحاربة المسلمين الذين واصلوا الجهاد سنين طويلة دون أن تفتر عزيمتهم ولذلك عرفت هذه السنة التاسعة للهجرة بعام الوفود. وكان الرسول يكرم أعضاء هذه الوفود العربية

ويعلمهم شـرائع الإسلام كـما كان يمنحـهم بعض الجوائز عند انصرافـهم من المدينة عائلين إلى بلادهم، وكـان عليه السلام يلبس أحسـن ثيابه عند مقابلة الوفـود ويأمر أصحـابه بالاقتداء به. وكـان أعضـاء الوفود العربيـة يمثلون قبائلهـم في التعبير عن رغبتهم الصادقة فى اعتناق الإسلام وتعلـم شعائره فإذا ما عادوا إلى مواطنهم نشروا الدعوة الإسـلاميـة بين أهاليهم وقـاموا بتعليـمهم فـرائض الإسلام وأحكامـه وكان بعض هذه الوفـود يعودون حاملـين كتبـاً من الرسول مـبيناً لهم مـايفرضـه الإسلام عليهم من واجبات وأحيـاناً كان يبعث الرسول معهم بعض صحابتـه ليقوموا بتعليم القبائل قواعد الدين وأحكامـه ومن بين هذه الوفود التى وفدت إلى الرسول فى سنة تسع وفد بنى أسـد بن خزيمة كذلك قـدم أشراف بنى تميم ووفد بنى فـزارة ووفدبنى مرة كما كان هناك وفود أخرى قدمت على الرسول لتؤكد له استعدادها للدخول فى الإسـلام منها وفـد بلى، بهراء، ووفـد عذرة وقـد أسلمت كل هذه الوفـود بين يدى الرسـول وتعلموا شـرائع الإسـلام ثم انصرفـوا إلى أهلهم بعـد أن منحهم الرسـول الجوائز التى اعتاد أن يمنحها لوفود القبائل العربية.

وعلى هذا أخـذت ظاهرة الوحدة الـعربيـة شكلاً ملمـوساً فى سنة تسع وقـد ساعـد انتشـار الدين الإسـلامى بين العرب على إظهـار هذه الوحدة، على أنـه كان هناك فريق من العـرب مازال على الشرك فلمـا نزلت سورة التوبة قـبل موسم الحج التاسعـة للهجرة تضمنت بعض آياتها أن المشـركين سيمهلون أربعة أشـهر يحاربون

بعدها إن لم يدخلوا فى الدين الإسلامى وكـان بين الرسول وبين فريق من المشركين عهـد فنزلت سورة براءة فى نقض مابين رسـول الله وبين المشركين من العـهد الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم "أن لايصد عن البيت أحد جاء ولايخاف أحد فى الشهر الحرام" لذلك عهد الرسـول فى سنة ٩هـ إلى أبى بكر الصديق بإمارة الحج وأمره أن يخالف المشركين فى أداء مناسك الحج ثم أرسل الرسول على علياً وأمـره أن يقرأ سـورة براءة على النـاس وهم فى الحج ويلغى بهـا كل عـهـد سـابق مع المشـركين وليعلمهم أنه لايدخل الجنة كافر ولايحج بعـد العام مشرك ولايطوف بالبيت عريان فلحق على بن أبى طالب بأبى بكر حتى إذا كان يوم الأضحى قام وأذن فى الناس بما أمره به الرسـول فلم يحج بعد هذا العام مشـرك ولم يطف بالبيت عريان وقـد شهد العام العاشر الهجرى استمرار توافـد وفود القبائل العربية إلى المدينة ليعلنوا للرسول إسلامهم وولاءهم له.

حجـة الوداع ووفاة الرسـول :

وفى السنة العاشرة للهجرة خرج الرسول للحج وسميت هذه الحجة التى قام بها الرسـول هذا العام حجة الوداع لأن الرسـول لم يحج بعدها وعند جبل عـرفات ألقى على المسلمين خطبـته الخالدة التى تعتبر دسـتور الإسلام وقـد أنزل الله تعالى الوحى على الرسـول مبشـراً بإتمام الدين فى قوله تعـالى "اليوم أكـملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً".

وعاد الرسول إلى المدينة حيث جهزا جيشاً جعل إمارته لأسامه بن زيد بن حارثة وأمره بالمسير إلى أرض فلسطين لمحاربة الروم فتجهز الناس ولكن توفاه الله دون أن تتم. فقد مرض الرسول بعد حجة الوداع بشهرين وتوفى ١٢ ربيع الأول سنة١١هـ (٦٣٢م) بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة على أحسن الوجوه وأكملها.

أثر الإسلام فى العرب:

أحدث الإسلام تغييراً جذريا فى حياة العرب وفى جميع نواحى الحياة وانتقل العرب بفضل الإسلام إلى حياة حضارية غيرت مجري تاريخهم وقد قضى الإسلام على كل عوامل التخلف والجهل والضلال عند العرب وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، لقد نظم الإسلام حياة المجتمع ودعا العرب إلى رعاية اليتامى والفقراء وإلى تقوية الروابط بين أفراد المجتمع وإلى صلة الرحم وتخفيف حدة العصبية القبيلية وأحيا الإسلام عند العرب أهمية الفكر والعلم ودعا إلى التفكير فى حقيقة الخلق والتأمل فى السموات والأرض و الشمس والقمر والجبال والبحار ولهذا فقد أحدث تطوراً كبيراً فى حياة العرب العقلية.

وقد تضمن الإسلام شرائع أصلحت حياة العرب وكفلت للفرد الحياة الآمنة ووضعت الحدود لمنع الجرائم التى كانت منتشرة كالقتل والسرقة والزنا واغتصاب القوى للضعيف وشدد الإسلام على ضرورة التحلى بمكارم الأخلاق ونبذ الرذائل وبذلك أوجد الإسلام مجتمعاً عربياً يدين بدين واحد وهو الإسلام ويتخذ من

القرآن الكريم دستورا ومنهجاً يسير بمقتضاه فى كل نواحى الحياة وعلى هذا فقد هذب الإسلام من طبيعة العرب الجافة الحادة ونهى عن كل الصفات السيئة التى انتشرت وشاعت عند العرب قبل الإسلام وحدد العقوبات لكل جريمة ترتكب فى المجتمع مما ساعد على انتشار الفضيلة والتآخى والمحبة بين الناس.

وقد جمع الإسلام قبائل العرب تحت لوائه وآلف بين قلوبهم وقضى على العصبية القبلية الجاهلية فزالت الحزازات القديمة وخضع العرب لحكم النبى وأوامر القرآن وبذلك قامت فى بلاد العرب حكومة مركزية قوية وأصبحت القبائل ترى فى الإسلام الكثير من الأسس والمبادىء العامة التى تنظم المعاملات بين الناس كالبيع والشراء، وعنى الإسلام عناية كبيرة بالأسرة فوضع الأسس والتشريعات التى تنظم علاقة الرجل بالمرأة فى الزواج والطلاق وبهذا كفل للأسرة الاستقرار فحدد حقوق الزوج على زوجته والزوجة على زوجها ورفع الإسلام مكانة المرأة وأوضح حقوقها وواجباتها فى المجتمع ونحو زوجها وأسرتها وأصبحت المرأة عنصر فعال فى السلم والحرب.

والخلاصة أن الإسلام غير أخلاق العرب وأدى إلى نشر الفضيلة بينهم وظهرت بذلك أمة جديدة وعلى هذا فإن الرسول صلى كما ذكر المؤرخون أتم من الأعمال مايدهش العقول ولم يعهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس وأصلح الأخلاق ورفع شأن الفضيلة فى زمن قصير كما فعل محمد "ﷺ".

الفصل الثانى

الدولة العربية الإسلامية

فى عهد الخلفاء الراشدين (١١ - ٤١هـ)

أولا: مشكلة نظام الحكم التى نشأت بعد وفاة الرسول ﷺ وقيام نظام الخلافة.

ثانيا: الإضطرابات التى منيت بها الأمة العربية بعد تولية أبى بكر وسياسة أبى بكر فى التغلب عليها (حركة الردة).

ثالثا: الفتنة التى أدت إلى قتل عثمان.

رابعا: النزاع بين على ومعاوية وانتهاء عصر الخلفاء الراشدين.

الفصل الثانى

الدولة العربية الإسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين « ١١-٤١هـ »:

وقع خبر وفاة الرسول على المسلمين وقع الصاعقة، حتى إنهم ذهلوا ونسوا مانزل من الآيات التى تشير إلى موت الأنبياء كسائر البشر إلى أن خرج أبوبكر إلى الناس وخطب خطبته الحكيمة فثاب الناس إلى رشدهم حيث قال "أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله. ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لايموت" ثم تلا هذه الآية "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين".

وبموت الرسول بدأ عصر جديد هو عصر الخلفاء الراشدين وفيه تحولت الدولة الإسلامية من دولة محصورة فى شبة جزيزة العرب إلى دولة كبرى امتدت حدودها من الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسى غرباً كما تميز هذا العصر بسمات خاصة وقد حكم فيه أربعة خلفاء عرفوا بالخلفاء الراشدين وهم:

أبوبكر الصديق – "عمر الفاروق" بن الخطاب – عثمان بن عفان – على بن أبى طالب.

وتميز هذا العصر بسمات رئيسية وأحداث متشابكة تجعلنا من الصعب أن نتحدث عن عصر كل خليفة مستقلاً وإنما من الأنسب أن نتحدث عن تلك السمات

وتلك الأحداث التى ميزت هذا العصر كله وتمثل هذه السمات فيما يلى :

أولاً: مشكلة نظام الحكم التى نشأت بعد وفاة الرسول ﷺ وقيام نظام الخلافة.

ثانياً: الإضطرابات التى منيت بها الأمة العربية بعد تولية أبى بكر وسياسة أبى بكر فى التغلب عليها (حركة الردة).

ثالثاً: الفتنة التى أدت إلى قتل عثمان.

رابعاً: النزاع بين على ومعاوية وانتهاء عصر الخلفاء الراشدين.

أولاً: نشأة نظام الخلافة:

واجه المسلمون بعد وفاة الرسول مشكلة نظام الحكم وكيفية تدبير أمر الدولة خاصة وأن الرسول لم يوص بالحكم لأحد بعده كما أنه لم يترك إبناً يرثه فى حكم المسلمين وقيادة الدولة الإسلامية من بعده وكان على المسلمين اختيار من يخلفه فى حكمهم وعرف هذا النظام باسم "الخلافة" نسبة إلى من خلف النبى فى آمته (الخليفة) فالخلافة نظام مستحدث حتمته الظروف التى وجدت بعد وفاة النبى صلى دون أن يعين للمسلمين حاكماً عليهم.

سقيفة بنى ساعدة وانتخاب أبى بكر خليفة :

لما وصل إلى الأنصار خبر نعى النبى صلى سارعوا إلى التفكير فيمن يخلفه فى تدبير أمورهم فاجتمعوا بسقيفة بنى ساعدة (السقيفة هى ظلة كانت بالقرب من

دار سعدبن عبادة يجتمعون فيها وكان له الرياسة) ورشحوا للإمارة رجلاً منهم "وهو سعد بن عبادة من سادة الخزرج ومالبثوا أن دعوه ليتحدث ـ باسمهم فألقى عليهم خطبة بين فيها فضل الأنصار على الإسلام ونصرتهم للنبى صلى. على أن الأوس والخزرج والذين عرفوا بالأنصار كانوا دائما على خلاف فيما بينهم منذ نزلوا المدينة لذلك لم تبد الأوس ارتياحاً لاختيار سيد الخزرج بل رأت أن تأميره يؤدى إلى إعلاء شأن الخزرج واستعادة سلطانها القديم وهى لاتريد أن تكون لمنافستها أى نفوذ.

ولم يكن للخطبة التى ألقاها سعدبن عبادة أثر فى إقبال قومه على بيعته فقد أخذوا يتداولون فيما بينهم هذا الأمر ولما وصل نبأ اجتماع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة إلى كبار رجال الصحابة من المهاجرين سارع ثلاثة منهم وهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح إلى السقيفة حتى لايتيحوا للأنصار فرصة البت فى أمر الخلافة دون الأخذ برأيهم.

ولما اجتمع هؤلاء المهاجرين بالأنصار دار بين الفريقين حوار عنيف فنهض أبو بكر وألقى أول خطبة فى الأنصار بين فيها فضل للمهاجرين وأنهم أول من عبد الله فى الأرض وآمن بالله وبالرسول وأنهم أولياؤه وعشيرته وأحق بهذا الأمر من بعده كما اعترف بالفضل للأنصار وقال لهم ضمن ما قال "نحن الأمراء وأنتم الوزراء".

ولاشك أن أبا بكر أثبت بقوله هذا حسن سياسته وبعد نظره فبينما يشير إلى أحقية قومه فى ولاية أمر المسلمين بعد وفاة الرسول فقد اعترف للأنصار بفضلهم

كما أرضاهم بأن جعلهم وزراء دون غيرهم من سائر العرب وقصر الإمارة على المهاجرين لمسارعتهم إلى تأييد الرسول.

لم يقتنع الأنصار بقول أبى بكر وقام الحباب بن المنذر يدافع عن حقهم ويطلب إليهم أن يتجنبوا الأختلاف والتفريط فى هذا الأمر كما أشار أبن المنذر فى ختام خطابه بإمكانية أن يتقاسم المهاجرون والأنصار الأمر بقوله "وليكن منا أمير ومنكم أمير".

ولما تحرج الموقف بين الطرفين (المهاجرين والأنصار) قام أبوعبيدة بن الجراح فوجه حديثه إلى الأنصار بقوله يامعشر الأنصار كنتم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من بدل وغير على أن المجتمعين بالسقيفة مالبثوا أن فوجئوا بقيام بشير بن سعد من زعماء الخزرج خطيباً ومؤيداً حق المهاجرين فى الخلافة فقال لقومه: "يا معشر الأنصار، إنا والله لئن كنا أولى فضيلة فى جهاد المشركين وسابقة فى هذا الدين ما أردنا به إلا رضى ربنا وطاعة نبينا ألا إن محمداً صلى من قريش وقومه أحق به. فاتقوا الله ولاتخالفوهم ولاتنازعوهم" كان لهذا القول أثر بالغ فى نفوس المهاجرين والأنصار فأعلن عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح مبايعتهما لأبى بكر ثم تقدم بشير بن سعد فبايعه وبايعه الأوس من بعده فاضطرت الخزرج للمبايعة عدا سعد بن عبادة الذى خرج من الاجتماع ناقما على ما حدث فيه.

وعرفت هذه البيعة التى تمت فى السقيفة البيعة الخاصة لأنه لم يبايعها إلا نفر قليل من المسلمين هم الذين حضروا الاجتماع فلما كان الغد جلس أبو بكر فى مسجد الرسول حيث بايعه الناس البيعة الكبرى أو العامة.

وقد أعلن أبو بكر سياسته التى عول على اتباعها فى هذه الخطبة التى خطبها فى مسجد الرسول على اثر أخذ البيعة العامة له ونصها " أيها الناس إنى قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندى حتى أخذ الحق له، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى أخذ الحق منه أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلاطاعة لى عليكم .

وبذلك نجد أن المبادىء التى قام عليها نظام الخلافة الإسلامية وأقرها اجتماع السقيفة هى أن يكون الخليفة من المهاجرين وهم من قريش - وأن يكون أهل الشورى الذين يساعدون الخليفة فى الحكم من كبار الصحابة - وأن يتم اختيار الخليفة بالانتخاب والشورى وأن تؤخذ للخليفة البيعة العامة من عموم المسلمين وعلى الخليفة المنتخب الإلتزام بكتاب الله وسنة رسوله.

اختلفت روايات المؤرخين حول إجماع المسلمين على بيعة أبى بكر فبينما يذكر البعض أن المهاجرين تتابعوا على بيعته من غير أن يدعوهم يذكر آخرون أنه تخلف عن بيعة أبى بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع على بن أبى

طالب منهم العباس بن عبد المطلب والزبير بن العوام وخالد بن سعيد وأبو ذر الغفارى وغيرهم.

وقد أختلفت أقوال المؤرخين حول موقف على بن طالب من بيعة أبى بكر فهناك من يقول أن علياً تخلف عن مبايعة أبى بكر ولم يبايعه إلا فى وقت متأخر لاعتقاده فى أحقيته بالخلافة دون أبى بكر، ويرى البعض أن سبب تأخر على عن اجتماع السقيفة ومبايعة أبى بكر هو انشغاله بالاعداد لدفن الرسول ولما علم بمبايعة المسلمين لأبى بكر سارع فبايعه ويذكر آخرون أن على ظل ممتنعاً عن مبايعة أبى بكر لمدة ستة شهور بعد بيعة الناس له لأن السيدة فاطمة بنت الرسول كانت غاضبة من أبى بكر لأنه لم يعطها حقها فى ميراث أبيها من فدك وبنى النضير وخيبر وذلك لأن الرسول صلى قال نحن معشر الأنبياء لانورث كل ما نتركه صدقة".

فلما ماتت فاطمة اضطر على أن يبايع أبا بكر بمعنى أن مسألة الميراث كانت السبب فى امتناع على وبنى هاشم عن مبايعة أبى بكر، علماً بأن المطالبة بالميراث كانت تقتضى أن تكون بعد الأعتراف بخلافته وإمامته للمسلمين ويمكن القول فى ضوء هذه الروايات أنهم بايعوا أبو بكر ثم طالبوا بما اعتقدوا أنه حقهم من ميراث النبى صلى ولايمن أن يكونوا قد كابروا وأصروا على موقفهم بعد سماعهم لحديث النبى صلى. ويمكن أن نقول كذلك أن الذين يحملون على أبى بكر لأنه لم يعط فاطمة إرثها من النبى نسوا أن علياً أيضا بعد أن تولى اقتدى بحديث رسول الله

نحن معشر الأنبياء لانورث". وبالرغم من تلك الروايات فإن أكثرها تشير إلى أن عليا سارع إلى بيعة أبى بكر وعاونه فى شئون الخلافة وفى حروب الردة.

لاشك أن أبا بكر كان خير رجل يواجه الموقف الذى أصبح فيه المسلمون بجزيزة العرب بعد وفاة الرسول صلى. ففضلا عن أنه كان من أسبق الرجال إسلاماً وأعظمهم إخلاصاً فى صحبتة للنبى أمتاز بقوة إيمانه بالدين الإسلامى وقوة إرادته وبراعته السياسية واستطاع بكل هذه الصفات التغلب على الصعاب التى صادفته.

بيعة عمر بن الخطاب : استمرت خلافة أبى بكر لمدة عامين ولما مرض مرض الموت وأحس بدنو أجله خشى إن هو قبض ولم يتدبر أمر من يخلفه فى حكم المسلمين أن يعود الأختلاف والشقاق بين المسلمين فيتمكن عدوهم منهم فرأى ببعد نظره أن يحتاط لهذا الأمر تلافياً للأخطار.

نظر أبو بكر فى عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب ثم وقع اختيار أبى بكر على عمر بن الخطاب وأخذ يستشير فيه كل من دخل عليه من الصحابة فاستشار منهم عبدالرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وسعيد بن زيد وغيرهم من كبار المهاجرين والأنصار فأثنوا على عمر وأيدوا ترشيحه للخلافة فدعا أبو بكر عثمان بن عفان وأملاه كتاب عهده لعمر وجاء فى نصه "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماعهد به أبو بكر فى آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة، فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ويتقى الفاجر، إنى استعملت عليكم عمر بن الخطاب فإن بر وعدل فذلك علمى به

ورأيي فيه وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب والخير أردت ولكل امرىء ماكتسب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون

ثم أطل أبو بكر على المسلمين من حجرة بجوار المسجد وقال يخاطبهم: "أترضون بمن استخلف عليكم؟ فإني والله ماألوت من جهد الرأى، ولا وليت ذا قرابة وإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا له واطيعوا فأجابه الناس سمعنا وأطعنا عند ذلك رفع يده إلى السماء يقول: اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم ماأنت به عليم واجتهدت لهم رأيا فوليت عليهم خيرهم وأحرصهم على ما أرشدهم".

وهكذا جاءت خلافة عمر بن الخطاب بولاية عهد من أبي بكر وأخذ موافقة الناس عليها فكانت أشبه بالتعيين من الاختيار ولكن يمكن القول أنه إذا كان أبو بكر قد عين عمراً ذلك أنه كان يخشى حدوث الفرقة والانقسام بين المسلمين حول منصب الخلافة فتتعرض الدولة لأزمة داخلية ويتمكن منهم العدو.

ولم يعين أبو بكر أحد أبنائه أو أقاربه كما لم يستبد برأيه في اختيار عمر بل استشار الصحابة فأجمعوا على حسن الاختيار ويمكن القول أن أبا بكر غير فقط من أسلوب الشورى فهو قد اختار شخصاً واجتهد في الاختيار لصالح الدولة.

وقد كان عمر رضي الله عنه يعد إسلامه من أشد الناس على الكفار وشهد مع الرسول بدر وأحد والخندق وبيعة الرضوان وغزوة خيبر وفتح مكة وكان الرسول

يستشيره فى كثير من الأمور وكثيراً ما كان عمر يشير على الرسول بأمر فينزل القرآن موافقا لما أشار به وقد أثر عن الرسول أنه قال: عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدى مع عمر حيث كان وكان أبو بكر أيضا يستشير عمر فى مهام الأمور ويعتمد عليه فى الفصل فى القضايا وكان ساعده الأيمن فى حروب الردة.

تولى عمر الخلافة لمدة عشر سنوات (من ١٣ : ٢٣هـ) كان خلالها مثالا للحاكم المسلم الذى التزم بمبادىء التشريع الإسلامى فى الحكم وجاءت نهاية حياة هذا الخليفة العادل على يد شاب مجوسى يسمى فيروز ويلقب أبا لؤلؤة وكان غلام المغيرة بن شعبه وقد قتله بخنجر (وكان أبو لؤلؤة قد أتى عمر يشكو إليه ثقل خراجه للمغيرة ولكن عمر لم يستمع له لأنه غير فقير ويكسب كثيراً من عمله كصانع (نقاش - نجار - حداد) ولما سأله وجده يستطيع دفع الخراج.

وتوفى عمر فى شهر ذى الحجة سنة ٢٣هـ ومات وهو فى الثالثة والستين من عمره وعلق عمر بعد أن علم شخص من طعنه بقوله الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل سجد لله سجدة واحدة.

بيعة عثمان بن عفان :

لما طعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل عليه نفر من الصحابة وطلبوا منه أن يستخلف وعرض أحدهم أن يستخلف أبنه عبدالله فرفض وقال لهم من استخلف: لو كان أبو عبيدة الجراح حياً لاستخلفته فإنى سمعت رسول الله يقول أنه

أمين هذه الأمة"ولو كان سالم مولى أبى حذيفة حياً لاستخلفته فإن سألنى ربى لقلت سمعت نبيك يقول أن سالما شديد الحب لله ولما ألح عليه الصحابة رشح لهم ستة من كبار صحابة رسول الله صلى من المبشرين بالجنة على أن يختار واحد منهم يجمعون الرأى عليه وهؤلاء الصحابة الستة هم: على بن أبى طالب وعثمان بن عفان وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله. على أن يحضر عبدالله بن عمر عملية الإختيار دون أن يكون له من الأمر شيء. ثم دعا هؤلاء الصحابة وقال لهم: أنى نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم لايكون هذا الأمر إلا فيكم إنى لاأخاف الناس عليكم إن استقمتم ولكني أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم فيختلف الناس فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم.

ولما توفى عمر اجتمع هؤلاء المرشحين وسرعان ما ظهر فيهم التنافس واحتاج الأمر إلى تعديل فى نظام عمر فقام عبد الرحمن بن عوف وأخرج الناس من هذا المأذق باقتراح تقدم به إلى زملائه فقال لهم أيكم يخرج منها نفسه على أن يوليها أفضلكم وعندما سكتوا ولم يجيبوا بشيء قبل هو تنفيذ الاقتراح على نفسه فوافقوا بشرط أن لاياًل جهداً ولا يول ذا قرابة وأن يؤثر الحق ولا يتبع الهوي . ثم أخذ عبدالرحمن يستشير الناس والصحابة فيمن يصلح أن يكون خليفة من بين هؤلاء فكان بعضهم يشير بعلى وبعض آخر يشير بعثمان أى أن استحقاق الخلافة انحصر فى على وعثمان.

وفى اليوم الرابع المحدد لإعلان نتيجة الاختيار ظهر الإنقسام أيضا بين أنصارعلى وعثمان وتكلم بنو هاشم وبنو أمية منهم من يؤيد عليا وآخرون يؤيدون عثمان حتى قال سعد بن أبي وقاص بعد أن ارتفع الصخب «ياعبد الرحمن أفرغ قبل أن يفتتن الناس» وهنا تقدم عبدالرحمن بن عوف بصيغة عهد تم على أساسه المفاضلة الأخيرة بين عثمان وعلى إذ دعا عليا فقال له " عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده فقال على: أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمى وطاقتى ثم دعا عثمان وأعاد عليه ما قال لعلى: فأعطى العهد وقال نعم نعمل، فبايعه وبذلك نال عثمان الخلافة وبايعه سائر الناس.

وهكذا تم اختيار ثالث الخلفاء الراشدين بأسلوب مخالف للحالتين السابقتين وقد ظهر من ذلك الوقت التنافس بين على وعثمان أو بالأحرى التنافس القديم بين بني هاشم وبنى أمية وكاد الأمر يتم لعلى لولا أنه لم يتفق مع عبد الرحمن بن عوف بأن يسير على ما سنه أبوبكر فصرفت عنه الخلافة إلى عثمان وانقسم المسلمون إلى أمويين وهاشمين أو علويين.

ويرى بعض المستشرقين أن اختيار أبى بكر وعمر للخلافة إنما كانت بتدبير واتفاق وقع فى سقيفة بنى ساعدة بين أبى بكر وعمر وأبى عبيدة على أن يتولوا الخلافة بالتتابع ويدعمون رأيهم بما حدث من اختيار عمر بعد أبى بكر ومن قول عمر ورغبته فى استخلاف أبى عبيدة ولكن هذا غير صحيح فقد اختار أبو بكر عمراً

لدوره العظيم فى الإسلام والحكمة وشخصيته وكان خير من يصلح لتولى الخلافة كذلك فإن عمر تمنى اختيار أبو عبيدة لشكر النبى فى شخصه ومدحه له كما أن عمر رشح للخلافة بمدة ستة من كبار الصحابة المبشرين بالجنة ولم يعهد لشخص بعينه.

هذا وتشير بعض الروايات إلي احتجاج علي بن أبي طالب علي تحيز عبد الرحمن بن عوف لعثمان بن عفان وأنه تلكأ في مبايعة عثمان ، فيذكر ابن الأثير أن عليا قال لعبد الرحمن بن عوف ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا، والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك .

بينما يذكر آخرون أن عليًا كان أول من بايع عثمان من أهل الشوري ويستبعدون الروايات التي قيلت في احتجاجه علي انتخاب عثمان، هذا وقد أعلن بعض الصحابة أيضا سخطهم علي إقصاء علي من الخلافة مثل المقداد بن الأسود .

تولى عثمان الخلافة من سنة ٢٣ إلى سنة ٣٥ هـ ومات مقتولا فى أعقاب الفتنة التى وقعت فى الدولة الإسلامية فى أواخر عهده ولما قتل عثمان أقبل الناس يهرعون إلى على أبى طالب وتراكمت عليه الجماعة فى البيعة فبايعوه ثم بايعه المهاجرون والأنصار ثم بايعه الناس البيعة العامة وظل فى الحكم مدة ست سنوات إلى أن قتل فى سنة ٤٠هـ قتله الخارجى عبد الرحمن بن ملجم بسيف مسموم وانتهى عهد الخلفاء الراشدين وقامت دولة جديدة هى الدولة الأموية وتحول نظام الحكم فى الدولة الإسلامية من نظام الشورى والانتخاب إلى النظام الملكي الوراثى.

ثانيا : حركة الردة والمتنبئين :

كانت حكومة الرسول حكومة دينية تعتمد إلى حد كبير فى سلطتها التنفيذية على عقيدة الناس فى أن النبى إنما تصدر أحكامه وتصرفاته عن وحى الله وأمره فلما انتقل الرسول إلى جوار ربه شك فريق من الناس فى أمر هذا الدين وانتقضت بعض القبائل على سيادة الدولة الإسلامية وقد عرفت هذه المظاهر «بالردة» التى دعت إليها كثير من العوامل ومنها العصبية القبلية وقد ظهرت ملامحها قبيل وفاة النبى ﷺ فقد ظهر بعض الخارجين عن الدعوة والدولة العربية الإسلامية من رجال القبائل العربية وتشبه بعضهم بالرسول ، وكان هؤلاء الزعماء أقرب إلى الكهان فقد أدعوا العلم بالغيب واتصالهم بالجن واستطاعوا بمهارتهم جمع كثير من الأنصار ومن أشهر هؤلاء الأسود العنسى باليمن - وطليحة بن خويلد الأسدى بنجد - ومسيلمة الكذاب فى بنى حنيفة باليمامة وعرفوا بالمتنبئين.

الأسود العنسى :

اسمه الأصلى عبهلة بن كعب ولقب بالأسود لسواد لونه وسمى العنسى نسبة إلى قبيلة عنس باليمن وكانت حركته أول الأمر تنطوى على إثارة الروح الوطنية فى قومه ببلاد اليمن للتخلص من الأبناء المسلمين الذين ليسوا من أصل يمنى فقد اعتبرهم دخلاء على اليمن ثم أدعى النبوة بعد عودة الرسول من حجة الوداع فى السنة العاشرة للهجرة واتخذها عونا له على بسط سلطانه على بلاد اليمن وكان

يلبس خماراً على وجهه كعادة الكهان وقد انحازت إليه مذحج ثم قصد صنعاء فتغلب عليها وألحق الهزيمة بالأبناء ولما بلغ الرسول صلى انضمام القبائل اليمنية إليه واتساع أمره أرسل إلى ولاة المسلمين باليمن يأمرهم بالقيام بأمر دينهم ومناهضة الأسود واختلفت روايات المؤرخين فى الوقت الذى قضى فيه على حركة الأسود العنسى فبينما يذكر البعض أن ثورته انتهت بقتله فى الليلة التى مات الرسول فى صبيحتها ويذكر البعض أنه تنبأ فى حياة الرسول ولكنه قام بالثورة بعد وفاته.

طليحة بن خويلد :

تنبأ فى حياة الرسول وشايعة قومه من بنى أسد ابن خزيمة وكان يرمى إلى إحداث تعديل فى شعائر الإسلام فدعا الناس إلى أداء الصلاة وقوفاً ونهاهم عن السجود والركوع كما أدعى أن جبريل يوحى إليه ولم يستطع طليحة أن يحمل جميع بنى أسد وغطفان على الانحياز إليه وظل بعضهم محتفظا بولائه للإسلام وطلب الرسول من عماله على بنى أسد التخلص من المرتدين وعاد الكثيرون إلى التمسك بالإسلام ثم توفى النبى ولم يزل بنو أسد وغطفان على ماكانوا عليه.

مسيلمة بن حبيب الحنفى :

كان من قبيلة بنى حنيفة التى تنزل اليمامة وقد تنبأ فى حياة الرسول ﷺ وأدعى أن النبى نزل له عن نصف أرض المسلمين وكتب إلى الرسول صلى فى آخر سنة ١٠هـ يقول "من مسيلمة إلى محمد رسول الله، فإنى قد أشركت معك فى

الأمر وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشاً قوم يعتدون" فكتب إليه الرسول بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب «أما بعد فالسلام على من اتبع الهدى وأما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين».

كان مسيلمة يعبر عن ميول قبيلته بنى حنيفة التى كانت تطمع فى أن يكون لها منطقة نفوذ فى بلاد العرب لكنه لجأ إلى التنبؤ ليصل إلى تحقيق غايته وزعم أنه يوحى إليه فاجتمع حوله بنو حنيفة وقد تجلت خطورة حركة مسيلمة بعد وفاة الرسول فقد استطاع بدهائه أن يجمع حوله أتباعه الذين بلغ عددهم أربعين ألفا مجهزين بعدة القتال وأن يشكل بذلك خطرا على كيان الدولة الإسلامية وقد اتصلت به امرأة من بني تميم بنجد تدعى سجاح وادعت النبوة وتزوجت منه.

أسباب حركة الردة :

كان للعصبية القبلية أثر واضح فى حركة المرتدين تلك العصبية التى عمل الإسلام جاهداً على القضاء عليها ونجح فى ذلك إلى حد ما فى الحجاز ولكنه لم يستطع أن يقضى عليها فى بقية شبة الجزيرة العربية فزعماء القبائل العربية الذين ادعو النبوة كانوا يعبرون عن نزعات قبلية ووطنية فقد حاولوا الاحتفاظ باستقلال قبائلهم واتخذ نفر من هؤلاء الزعماء النبوة وسيلة لنشر سلطانهم فى بلادهم وعمدوا إلى التشبه بالنبى ليصلوا إلى ماوصل إليه بالدعوة الدينية وبالوحى ورغم أن

بعض القبائل كانت تعلم كذب وإدعاء هؤلاء المتنبئين إلا أنهم شايعوهم وساندوهم بدافع التقاليد والعصبية القبلية.

إلى جانب مدعى النبوة (المتنبئين) كان هناك انتقاض بعض القبائل العربية على سيادة الدولة الإسلامية والذين عرفوا بالمرتدين ويرجع أسبابها إلى عوامل مختلفة فمنهم من ثار على الأوضاع الاجتماعية الجديدة التى أقرها الإسلام والقيم الأخلاقية التى تقوم على المساواة وإذابة الفوارق بين أفراد القبيلة الواحدة. ولاشك أن هذه القبائل لم تكن على بينة من أمر دينهم ولم تثبت فى نفوسهم تعاليم الإسلام ولذا فقد ارتدوا عن الإسلام ومنهم من تشكك فى نبوة الرسول بعد موته وكانوا يظنون أن الرسول معصوم من الموت فلما مات أدركوا أنه واحد مثلهم وكان هؤلاء من المتأخرين فى الدخول في الإسلام ومعظمهم من سكان البحرين.

ومن أسباب الردة أيضا أن بعض القبائل العربية بعد تولية أبى بكر خليفة كبر عليها أن تكون خاضعة لسيادة قريش فتطلعوا إلى استرداد ماكانوا يتمتعون به من استقلال ذاتي ولهذا فقد انحاز هذا الفريق من هؤلاء المرتدين إلى ثورات بعض المتنبئين يستنصرون بهم على قريش أملاً فى الخلاص من زعامتها.

وهناك من اعتقد أن الإسلام لم يأت ليقيم دولة وإنما جاء كدين فلما قام أبو بكر بأعباء الخلافة بعد وفاة النبى وأيقنوا أنهم أصبحوا خاضعين لسلطة مركزية يؤدون إليها الزكاة، خيل إليهم أن الزكاة ما هى إلا إتاوة ومن ثم لم يروا مبرراً

لدفعها، فقد اعتبر هؤلاء الزكاة مجرد جزية يعطونها للحمد على أثر دخولهم في الإسلام أما بعد وفاته فليس لمن يخلفه الحق في المطالبة بها، وفي تصورهم أن دفعهم الزكاة كان معناه الانقياد لقريش وهو أمر كانوا يرفضونه فقال قوم منهم "نقيم الصلاة ولانؤدي الزكاة" فرد عليهم أبو بكر بقوله "والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى لقاتلتهم على منعه".

ولايخفى أنه كانت وراء هذه الحركات أصابع خارجية تحركها في الخفاء تمثلت في القوى المعادية للإسلام والحاقدة عليه أمثال يهود (شمال الحجاز - وفرس العراق والذين كانوا يعتمدون في تدبير المؤامرات ضد الإسلام على عملائهم داخل أراضي دولة الإسلام وظهر ذلك واضحاً في الشعارات المسيحية والمجوسية التي أضافها هؤلاء المتنبئين والخارجين لدعواهم.

موقف أبي بكر من المرتدين:

يتضح من حركة المتنبين والمرتدين إلى أي حد أصبحت الدولة العربية الإسلامية بعد وفاة الرسول مهددة بالأخطار وقد واجه أبو بكر هذه الحركة بما عرف عنه من حزم وغيره على الدين وقد كان أمام أحد أمرين إما أن يتساهل مع هؤلاء المرتدين حتى تتاح لهم فرصة تفهم الإسلام فهما صحيحاً، وإما قتال المرتدين والمتنبئين والتساهل مع مانعي الزكاة ولكن أبوبكر رأى استخدام الشدة مع الجميع للحفاظ على وحدة الدولة وكان بعض الصحابة وفيهم عمر بن الخطاب قد تكلموا

مع أبي بكر في شأن مانعي الزكاة في أن يتركهم فترة حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم وقد كانت وفود هؤلاء قدمت المدينة يقرون الصلاة ويمتنعون عن الزكاة ولكن أبو بكر رفض هذا العرض بقوة وبإصرار على أن يقاتل من يفرق بين الصلاة والزكاة ووطد العزم على مقاتلتهم وإخماد حركاتهم مهما كانت النتيجة.

وقد بدأ أبو بكر حمله بإنفاذ حملة أسامة بن زيد التي جهزها الرسول قبل وفاته لغزو أطراف الشام الجنوبية وكان أبو بكر يرمي من وراء الإسراع بإرسال هذه الحملة إيهام العرب أنه غير مكترث بحركة هؤلاء الثوار وإشعارهم بقوة الحكومة الإسلامية وثبات مركزها ويرى المؤرخون أن إنفاذ جيش أسامة كان من أعظم الأمور نفعاً للمسلمين، فإن العرب قالوا: لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش، فرجعوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه" هذا وقد أخذ أسامة الثأر لأبيه وللمسلمين في مؤتة، واستطاع أداء المهمة التي ندب من أجلها وعاد ظافراً إلى المدينة بعد أن قضى في غزوته مايقرب من شهرين.

وكان أبو بكر في أثناء قيام أسامة بن زيد بمهمته الحربية في أطراف الشام يعمل على تحصين المدينة وحمايتها لرد أي عدوان قد يقع عليها، كما أخذ يعمل على إعداد القوة الإسلامية التي سيعهد إليها بمحاربة القبائل العربية وزعمائها.

وكانت قبيلة غطفان حينما علمت بخروج الجيش الإسلامي في حملة أسامة إلى الشام قد هاجمت المدينة ففوجئوا بالقوات الإسلامية مستعدة للقائهم وانتهى

الأمر بهزيمتهم وضمها إلى تبعية الدولة الإسلامية وقد استفاد أبو بكر من غنائم غطفان وغنائم حملة أسامة فى تجهيز أحد عشر جيشاً للقضاء على حركة الردة والمتنبئين وأرسل أبو بكر قبل أن ينفذ هذه البعوث إلى جميع الذين خرجوا على حكومته كتاباً يهددهم فيه بالقتال إن لم يعودوا إلى الدين.

ولقد انتدب أبو بكر لقيادة الجيوش التى وجهت لقتال المرتدين أحد عشر قائداً وأمر كل قائد من هؤلاء القواد بالتوجه للناحية التى خصصت له وطلب منهم ألايبدأ أحدهم بالحرب إلا بعد الدعوة إلى العودة للإسلام فإن أجاب المرتدون قبل منهم وأن أبوا قاتلهم كما طلب منهم الاستعانة بمن ثبت على إسلامه من أهل القبائل على المرتدين منهم لأنهم أعلم بقومهم.

وقد نفذ هؤلاء القواد أمر الخليفة فلما لم تستجب القبائل لندائهم صمموا على حربهم وتعد الحملة التى تولى قيادتها خالد بن الوليد من أهم الحملات التى جهزها أبوبكر وكان بها خيرة المهاجرين والأنصار وقد وجه خالد اهتمامه فى بداية الأمر إلى إخضاع قبيلة بنى أسد وزعيمها طليحة بن خويلد ونجح فى هزيمته وإخضاع قبيلته أما طليحة فقد هرب إلى الشام وانفض عنه أتباعه ثم قدم إلى المدينة وأعلن توبته وعفى الخليفة عنه وقد أبلى فى عهد عمر بلاء حسنا في الفتوح الإسلامية وخاصة فى بلاد العراق.

مسيلمة الكذاب وقبيلة بنى تميم :

بعـد ذلك توجـه خالد بن الوليد لإخضـاع قبيلة بنى تميم بسبب عـدم دفعهم الزكـاة واتباعهم لدعـوة التنبؤ التى قامت بها إمـرأة من نسائهم هى سجاح بنت الحارث التميميه ونجح خالد فى إخضاع بنى تميم وعودتهم إلى الإسلام وإقرار الزكاة.

ثم سار خالد إلى بنى حنيفة باليمامة حيث يقيم مسيلمة وقد أمده أبو بكر بقوة كبيرة من المسلمين وتقابل الجيشان فى معركة حامية ورجحت كفة مسيلمة فى بادىء الأمر إلا أن خالد استطاع أن يثير الحمية فى الجيش الإسلامى فتراجع مسيلمة إلى مكان يقال له الحديقة فاقتحم المسلمون المكان واشتبكوا فى معركة مع بنى حنيفة، وهجم وحشى الحبشى وأبو دجانة الأنصارى على مسيلمة فقتلاه فولى بنو حنيفة منهزمين ثم أقبلت وفودهم بعد هزيمتهم على خالد فى معسكره وأعلنوا توبتهم ورجوعهم إلى الاسلام وقبل خالد منهم ذلك.

البحرين وعمان :

فيما يتعلق ببلاد البحرين فإن بعض أهلها من عبد القيس وبكر بن ربيعة ارتد بعد وفاة الرسول فأرسل أبو بكر إليهم العلاء بن الحضرمي ونجح فى مهمته وأوقع بهم الهزيمة وغنم منهم كثيراً من السبى والأموال وكان أبو بكر قد وجه حذيفة بن

محصن إلى عمان لإخضاع أهلها الذين ارتدوا بعد وفاة الرسول وقد نجح المسلمون فى مهمتهم وحلت الهزيمة بالمرتدين وغنم منهم المسلمون كثيراً من السبي والغنائم وبعثوا إلى أبى بكر الخمس.

أهل اليمن:

لما بلغ أهل اليمن وفاة الرسول صلى عادوا إلى ماكانوا عليه من الخلاف وقادهم فى ذلك بعض الرؤساء من المرتدين وهم قيس بن عبد يغوث وعمرو بن معد يكرب وظلوا يثيرون الفتن فيما بين صنعاء ونجران حتى وصلتهم الجنود يقودها المهاجر بن أبى أمية فاستردت صنعاء وأسرت زعماء الفتنة وكان للحركة التى أثارها الأسود العنسى وأصحابه باليمن أثرها فى كل من حضرموت وكندة فأجمعوا على الردة وامتنعوا عن أداء الزكاة فذهب إليه أيضا المهاجر بن أبي أمية واستطاع مع زياد بن لبيد والى حضرموت أن يهزموا كندة وأسروا زعيمهم الأشعث بن قيس سيد كندة وقد عفا عنه أبو بكر الصديق وظل الأشعث بن قيس مقيما بالمدينة حتى اشترك فى فتح العراق فى عهد عمر بن الخطاب.

وهكذا نجحت كل القوات التى أرسلها أبو بكر فى مهمتها وقضت على المرتدين والمتنبئين وعلى أكبر خطر تعرضت له الدولة الإسلامية وكان من نتائج حركة الردة والقضاء عليها أن عادت المدينة إلى بسط هيمنتها على بلاد العرب كافة

وتوحيد العرب تحت قيادة إسلامية واحدة فكان لقضاء أبي بكر على المرتدين انتصاراً لوحدة بلاد العرب ولتضامنها على التفكك والأنفصال والعصبية القبلية ولقد وضح من خلالها أمر الإسلام وحقيقته لكل العرب وعرفوا صدق دعوة الرسول واستمرار تلك الدعوة بعد وفاته.

ولم يسمح أبو بكر للمرتدين بالمشاركة في الفتوح الإسلامية وقد حرمهم بذلك من أجر الجهاد وحصلية الغنائم إلا أن معظمهم شارك في الفتوحات الإسلامية في عهد عمر وأبلوا بلاءً حسناً.

وقد صار في مقدور أبي بكر بعد أن خضعت له بلاد العرب أن ينفذ أهداف الرسول صلى تلك الأهداف التي تقضي بنشر الإسلام خارج حدود الجزيرة العربية وقد رأى الخليفة أن يستغل انتصار العرب وفرحتهم بالنصر في توجيهم إلى الجهاد والفتح ولذلك فما إن عادت الجيوش الإسلامية من حرب المرتدين إلا وسمعت نداء الخليفة يستنفرهم للجهاد والفتح وبذلك أعلن أبو بكر مرحلة جديدة في تاريخ الدولة العربية الإسلامية وهي مرحلة الفتح والتوسع ونشر الإسلام خارج شبة الجزيرة.

ثالثاً: الفتوحات الإسلامية:

(اتساع سلطان الخلافة فى عهد الراشدين).

بعث الله محمداً رسولاً ونذيراً ومبلغاً لدعوة الإسلام للناس كافة وعامة لأنها آخر الرسالات السماوية لذلك أرسل الرسول فى السنة السادسة من الهجرة كتبه إلى ملوك وحكام العالم وقتذاك يدعوهم إلى الإسلام لتعميم الدعوة الإسلامية وتحقيق ماورد فى القرآن الكريم من الآيات التي توضح أن الإسلام لم يبعث للعرب فقط وإنما بعث للناس كافة.

ولم تؤت الكتب التى أرسلها الرسول النتائج المطلوبة من إرسالها لهذا كان على الرسول صلى أن يوجه الجيوش الإسلامية لمحاربة هؤلاء الحكام وإسقاط حكوماتهم وتبليغ الإسلام إلى شعوبهم . وقد بدأ الرسول دعوته لنشر الإسلام خارج بلاد الحجاز بغزو الأراضى الجنوبية لبلاد الشام حيث كان يقيم الغساسنة فكانت غزوة مؤته سنة ٨هـ ثم كانت غزوة تبوك فى عام ٩هـ ولم يمض غير قليل على عودته إلى المدينة بعد حجة الوداع حتى أمر بتجهيز جيش لغزو أطراف الشام الجنوبية أسند قيادته إلى مولاه أسامه بن زيد بن حارثة وذلك لتأمين حدود بلاد العرب الشمالية وتوطيد سلطان المسلمين عليها. وحرص الرسول رغم مرضه على المضى فى إعداد حملة أسامة بن زيد غير أن أسامة لم يكد يشرع فى السير بحملته

حتى أتاه الخبر بأشتداد المرض على الرسول فأقبل إلى المدينة وبعد فترة قصيرة من وصوله إليها انتقل الرسول إلى جوار ربه في ربيع الأول سنة ١١هـ.

ولما بويع أبو بكر الصديق بالخلافة بدأ عمله بإنفاذ بعث أسامة بن زيد تنفيذاً لما أمر به الرسول، ونجح جيش أسامة في هزيمة القوات التي التقى بها في منطقة البلقاء، وعاد ظافراً إلى المدينة وكانت حملته عظيمة الأثر فقد أوقفت القبائل العربية التي تقيم في أطراف الشام الجنوبية على قوة المسلمين، كما أثارت الرعب في قلوب الروم - رغم أن أسامة لم يلق جيشهم فاضطروا إلى إرسال حامية قوية لترابط في البلقاء، وفضلا عن ذلك فإنها فهدت السبيل للحملات التي أرسلت فيما بعد لغزو بلاد الشام.

رأى أبو بكر بعد نجاحه في حرب المرتدين أن يجهز جيوشه لفتح العراق والشام وجعل القيادة لجيشي الفتح للمثنى بن حارثة وخالد بن الوليد وبذلك أعلن أبو بكر بدء مرحلة جديدة في حياة الدولة الإسلامية هي مرحلة الفتح والتوسع وكانت بلاد العراق والشام آنذاك خاضعة لدولتي الفرس والروم وقد توالت الانتصارات العربية على جيوش الفرس والروم ونجح العرب في فترة وجيزة في فتح بلاد الشام ومصر والعراق والمغرب.

عوامل الفتوحات الإسلامية:

هناك عوامل أدت إلي قيام العرب بالفتوحات وهذه العوامل تتمثل فى العامل الدينى وهو يتمثل فى إيمان العرب بالإسلام ورغبتهم فى تبليغ الدعوة الإسلامية فى غير بلاد الإسلام.

وهناك عوامل اقتصادية فقد تأثرت حالة بلاد العرب بكثرة الحروب التى وقعت زمن الردة والدين الإسلامى كان يفرض على القبائل العربية ألأ يغزو بعضها بعض لذلك رأى العرب أنه لابد من إيجاد ما يعوض عليهم هذه الخسائر التي لحقت بهم ووجدوا فى الفتح والتوسع ما يحقق إغراضهم كذلك يجب ألا نغفل العوامل السياسية فقد رأى الخليفة أبو بكر أن شغل العرب بمشروعات قومية عظيمة تصرف أذهانهم عن التفكير فى المسائل الداخلية التى من شأنها أن تفككهم وتضعفهم، هذا إلى جانب رغبة المسلمين فى إتمام الوحدة العربية فالعراق والشام كان يقيم بها بعض القبائل العربية وغزو العرب لهذين الإقليمين يحقق بلاشك الوحدة العربية بعد نجاح العرب فى ضم تلك الشعوب إلى حوزة الدولة الإسلامية.

وقد نجحت الفتوحات الإسلامية وحلت الهزائم بالفرس والروم ولاشك أن هناك عوامل أيضا أدت إلى انتصارت العرب أهمها أسلوب العرب فى القتال والذى اعتمد على الكر والفر وسرعة الحركة وأعمال الفرسية فكانت حربهم فدائية لم يتعود العدو على مجابهة أمثالها هذا فضلا عن الحالة المتردية التى كانت تخيم

علي دولتي فارس والروم بعد أن أضعفت الحروب الطويلة كلا الدولتين كذلك كان للاضطهاد الدينى الذى عانت منه الشعوب الخاضعة للدولتين من أهم الأسباب التى أدت إلى نجاح الفتوحات لتطلعهم إلى الخلاص من الاحتلال الفارسى والبيزنطى وترحيبهم بالمسلمين الذين سمعوا عن عدلهم وسماحتهم وتطبيقهم لشرع الله الذى يساوى بين العباد جميعاً.

١ـ فتح العراق وفارس :

عهد أبو بكر الصديق إلى المثنى بن الحارثة الشيبانى بغزو العراق بعد فراغه من حرب المرتدين فى منطقة البحرين ثم أسند قيادة هذا الجيش إلى خالد بن الوليد بعد أن أوقع الهزيمة بالمرتدين فى اليمامة فسار إلى البحرين ومنها إلى العراق وكان العراق خاضعاً للفرس وقد استطاع خالد بن الوليد أن يهزم الفرس فى معركة ذات السلاسل ثم عبر نهر الفرات وأخضع القبائل العربية وخاصة تغلب واستولت الجيوش الإسلامية على مدينتى الحيرة والأنبار وأصبحت خاضعة للدولة الإسلامية ومن الحيرة واصل زحفه حتى وصل إلى عين التمر ففتح حصنها عنوة ثم سار خالد شمالا حتى وصل إلى الفراض (الفراض) على حدود الشام والعراق والجزيرة وهناك اشتبك مع قوات الفرس فى معركة كان النصر فيها حليفه، ثم عاد إلى الحيرة حيث أمره الخليفة بالانتقال من العراق إلى الشام وكان جيش الشام إذ ذاك فى مركز حرج وكانت الحالة فى هذه البلاد تستدعى وجود شخصية مثل خالد.

سـار خـالد بنصف الجيش إلى الـشام تلبـيـة لدعـوة الخليفـة لمسـاعـدة المسلمين فـى قـتـال الروم، ولم يلبث أن تـوفى أبو بكر ولما ولى عـمـر بن الخطاب الخلافة سنة ١٣هـ لم يعـمل على إعادة خالد إلى العراق واستبـقاه فى الشام وأرسل نجدة إلى العراق تنفيذاً لوصية أبي بكر وكـانت تلك النجدة بقيادة أبى عبيد بن مسعود الثقـفى وكتب للمثني في العراق بجعل قيادة الجـيش العامة في العراق لأبي عبيد والعمل تحت إمرته.

كان يتـولى عرش الفـرس آنذاك إمرأة تدعى بوران وقـد وجهت هذه السـيدة سياستـها إلـى طرد العرب من ريف العـراق وأسندت قيـادة الجيش لأمـهر قـوادها ويسمى رستم.

معركة الجسر:

استـمرت المعارك بين المسلمين والفرس حـتى كانت موقـعـة (معركة) الجسر الشهيرة وفيها هزم المسلمون وقتل قـائدهم أبو عبيد الثقفى واستطاع المثنى بن حارثة أن ينسحب بجـزء من الجيش سالما وكـانت هذه الهزيمة شديدة عـلى المسلمين ولهذا صمم عـمر على الأخـذ بالثأر من الـفرس فأرسل مـددا للمثـنى من رجال القـبائل العربـية الذين سبق ارتدادهم من أهل اليمن والتـقت القوات الإسـلامـيـة مع قوات الفرس على نهر الفرات عند البويب حيث دار معركة انتهت بانتصار المسلمين الذين تقـدموا فـاستـولوا على كل المنطقة الممـتدة بـين دجلة والفرات وقـد توفى المثنى بن حارثة بعد هذه المعركة فأسند عمر قيادة الجيش إلى سعد بن أبي وقاص.

معركة القادسية :

سار سعد بقواته إلى قرية القادسية حيث دار قتال بين الفريقين (الفرس والعرب) انتهت بهزيمة ساحقة للفرس الذين قتل قائدهم فى المعركة وذلك سنة ١٦هـ وكتب سعد إلى الخليفة عمر يبشره بالنصر فكتب إليه أن يتوقف عن متابعتهم وأن يبنى عاصمة جديدة للمسلمين في تلك البلاد فبنى مدينة الكوفة سنة ١٦هـ وأسس بها مسجدها الجامع واختط بها الناس منازلهم.

وواصلت الجيوش الإسلامية زحفها بعد القادسية حتى وصلت إلى المدائن عاصمة بلاد الفرس ونجحت القوات الإسلامية فى اقتحامها كذلك استولت القوات الإسلامية على منطقة الأهواز وإقليم خوزستان.

معركة نهاوند : جمع الملك الفارسى جيشاً كبيراً وتحرك بهذا الجيش من عند أصبهان وتوقف عند نهاوند وفى سنة ٢١هـ وعند نهاوند وقعت المعركة (معركة نهاوند والتى انتصر فيها المسلمون انتصار ساحقا وعرفت هذه المعركة بـ «فتح الفتوح» لأن المسلمين نتيجة لها استولوا على ثلاثة أرباع مبراطورية فارس وانتشر الدين الإسلامى فى معظم بلاد فارس.

وبعد هذه المعركة استطاع المسلمون فتح همدان وأصبهان وإقليم الرى وآذربيجان وتوجه المسلمون إلى إقليم خراسان ففتحوا مدن هرات وينسابور وسرخس وانتهى أمر ملك فارس بقتله فى خراسان سنة ٣١هـ وبهذا فتحت بلاد فارس وتمزقت دولتهم وانتصر المسلمون وانتشر فى هذه البلاد الدين الإسلامى.

فتح الشام:

أرسل أبو بكر بعد أن فرغ من حرب الردة قواته إلى الشام فى نفس الوقت الذى أرسل فيه قواته إلى العراق لنشر الإسلام وتوسيع سلطان الدولة الإسلامية وكتب أبو بكر إلى أهل الحجاز واليمن يدعوهم للجهاد وبذلك تيسر له فى أواخر سنة ١٢هـ أن يجهز عدة جيوش لغزو الشام وأسند كل جيش منها لقائد شجاع فجعل يزيد بن أبى سفيان على رأس جيش دمشق وجعل القائد اليمنى شرحبيل بن حسنة الكندى على جيش وجهته الأردن وعمرو بن العاص على جيش وجهته فلسطين وأبو عبيدة بن الجراح على جيش وجهته حمص وتوجه كل جيش من هذه الجيوش إلى وجهته التى وجه إليها.

وكانت بلاد الشام وقتذاك خاضعة للروم وكان حكام الروم يعاملون الأهالى بالظلم والقسوة مما أدى إلى تطلعهم إلى الخلاص ولم يكن الروم من القوة بحيث يتمكنون من دفع العرب عن بلادهم مما ساعد على نجاح العرب فى فتح تلك البلاد وكان الروم قد أعدوا جيشاً كبيراً شمال فلسطين لوقف زحف القوات العربية فى بلاد الشام ولكن أبو بكر أرسل إلى خالد الذى كان يقاتل فى العراق أن ينتقل إلى الشام وخرج خالد من الحيرة بنصف الجيش متجهاً إلى الشام ونجح فى أن يستولى على بصرى مفتاح قلب سورية ثم سار سنة ١٣هـ بالجند إلى أجنادين حيث اشتبك مع الروم فى معركة شهيرة انتهت بانتصار المسلمين وأصبحت كل فلسطين فى أيديهم.

ونجحت قوات المسلمين فى عهد عمر بن الخطاب فى فتح دمشق التى استسلمت بعد حصار لها دام ستة شهور وطلب حاكمها الصلح والأمان.

موقعة اليرموك :

على أن العرب اضطروا بعد قليل إلى إخلاء دمشق والمدن التى استولوا عليها وذلك حين بلغهم أن هرقل حشدا جيشاً كبيرا من الروم وعرب الشام وأهل الجزيرة لماجمتهم ثم تجمعوا أمام قوة الروم التى تأهبت للزحف ورابطوا فى المنطقة المعروف بحوض نهر اليرموك حيث دارت معركة بين الروم والعرب انتصر فيها العرب انتصارا ساحقا وكان هرقل إذ ذاك مقيما بأنطاكية فلما بلغه إيقاع المسلمين بجنده قال عبارته المشهورة "عليك ياسورية السلام، ونعم البلد هذا للعدو.....ثم قفل راجعا إلى القسطنطينية.

واتجهت القوات الإسلامية لإتمام فتح مدن الشام فسار عمرو بن العاص إلى فلسطين ليتمم فتحها واتجه شرحبيل بن حسنة إلى الأردن وفتح عكا وصور وأخذ يزيد بن أبى سفيان يغزو مدن الشام العربية فاستولى على صيدا وبيروت وكانت دمشق من بين المدن التى استعاد العرب سلطانهم عليها بعد انتصارهم فى اليرموك. وواصل العرب فتوحاتهم بعد انتصارهم على الروم فى اليرموك فاتجه عمرو بن العاص بعد فتحه غزة ونابلس إلى بيت المقدس وحاصرها حتى اضطر بطريقها إلى طلب التسليم على أن يأتى الخليفة عمر بنفسه ليتسلم المدينة ويقرر شروط تسليمها

فخرج عمر من المدينة والتقى بقواد العرب فى الجابية ثم توجه إلى بيت المقدس وتسلمها سنة ١٥هـ وأعطى أهلها عهدا آمنهم على أموالهم وعقائدهم مراعاة لحرمة هذا المكان المقدس ومما جاء فيه «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماأعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم....».

وبعد أن تم للعرب فتح بيت المقدس أصبحت فلسطين والشام فى أيديهم وأصبحت جزء هام من أجزاء الدولة العربية الإسلامية.

فتح مصر:

كانت مصر إحدى الولايات الرومانية التى تتبع الامبراطورية الرومانية وكانت أحوالها الدينية والسياسية والاقتصادية على درجة كبيرة من السوء والفساد مما بهد لعملية الفتح الإسلامى وساعد على نجاحه فقد أصبح المصريون يتطلعون لدولة أخرى تخلصهم من الحالة السيئة وترفع عنهم تلك المظالم وقد سرهم ما علموه من استيلاء العرب على الشام كما سرهم ما سمعوه من حسن سيرتهم فى البلاد التى فتحوها.

أسباب فتح مصر:

كانت الضرورة الحربية تحتم على العرب بعد أن تم لهم فتح بلاد الشام أن يولوا وجوهم شطر مصر حتى لايعاود الروم مهاجمتهم من هذه الناحية هذا فضلا

عن المزايا الاقتصادية التي تعود على الدولة العربية من وراء ضم مصر فاقترح عمرو بن العاص على الخليفة عمر بن الخطاب أن يسيره لفتح مصر ولم تكن من سياسة الخليفة عمر أن يفتح على المسلمين جبهتين للحرب في وقت واحد وكان المسلمون في ذلك الوقت منشغلين بمحاربة الروم في بلاد الشام ومازال عمرو بن العاص يهون على الخليفة فتح مصر ويذكر له مزايا الفتح حتى عدل عمر عن رأيه وعهد إليه بغزوها ليقضي على نفوذ الروم فيها ويضمها إلي حوزة المسلمين.

سار عمرو بجيشه من قيسارية بفلسطين في المحرم سنة ١٩هـ قاصدا مصر حيث نجح في فتح العريش دون مقاومة ثم اتجه إلى الفرما (بورسعيد الحالة) وكانت مدينة حصينة وتعتبر مفتاح مصر ومدخلها من جهة الشرق فحاصرها عمر حتى تم له الإستيلاء عليها ومضى الجيش الإسلامي حتى وصل بلبيس (بمحافظة الشرقية) واستولى عليها بعد قتال مع الجيش الروماني وبعد ذلك سار عمرو بجيشه من بلبيس إلى قرية أم دنين على النيل شمالي حصن بابليون (منطقة الأزبكية بالقاهرة الحالة)، وطليعة الدفاع عن الحصن وكانت أم دنين حصينة ووجد عمرو هناك مقاومة شديدة حتى اضطر أن يرسل إلى الخليفة يطلب المدد فأمده بأربعة آلاف جندي، وبذلك تيسر لعمرو الإستيلاء على هذه القرية.ثم تقدم الجيش الإسلامي لفتح حصن بابليون آخر قلاع الروم الحصينة بأرض مصر وكان الحصن منيعاً فحاصره المسلمون مدة سبعة أشهر ولما أشتد الحصار رأى المقوقس أن يطلب الصلح من عمرو بن العاص فوافق عمرو على ذلك ولما عرض المقوقس على

ملك الروم شروط الصلح رفضها وطلب الاستمرار فى القتال فواصل المسلمون حصارهم المحصن ثم قام بعضهم بفتحه عنوة فاضطر المقوقس إلى طلب الصلح من العرب فوافقه عمرو بن العاص على الصلح مقابل دفع الجزية وانتهى الصلح بين الطرفين بتسليم حصن بابليون مقابل انسحاب الجيش الروماني منه فى ثلاثة أيام لا يحملون معهم إلا أقواتهم وبالفعل تسلم المسلمون الحصن فى مستهل المحرم سنة ٢٠هـ/ أبريل ٦٤٠م.

وكان على المسلمين أن يتجهوا بعد ذلك لفتح الأسكندرية عاصمة مصر الرومانية وقد أخذ الروم يحصنون المدينة حتى لاتسقط فى يد المسلمين فسار عمرو بن العاص فى ربيع سنة ٢٠هـ إلى هذه المدينة (الإسكندرية) وفتح فى طريقه عدة حصون كان آخرها حصن الكريون وهو آخر حلقة فى سلسلة الحصون الرومانية الممتدة من بابليون إلى الإسكندرية ولما وصلت قوات المسلمين إلى الإسكندرية قامت بحصارها لمدة أربعة أشهر وقد حدثت فى تلك الأثناء بعض الأحداث فى الدولة البيزنطية كان لها أثر مباشر فى سير الحرب بمصر فقد توفى هرقل وخلفه بعهد منه ولده وعملت الامبراطورة مارتينه والتى تولت الوصاية علي العرش بعد موت هرقل مع ابنها على إنهاء الحرب فى مصر حتى تتفرغ للمشاكل الداخلية وتحقيقا لهذه الغاية فقد أمرت المقوقس بالعودة إلى مصر وطلب الصلح النهائى مع عمرو بن العاص والانسحاب من مصر نهائياً فجاء المقوقس لعمرو وعقدت بين الطرفين معاهدة تم بمقتضاها جلاء حامية الروم عن الإسكندرية ولم تنته سنة ٢١هـ

حتى أصبحت مصر كلها خاضعة للعرب وولاية من ولايات الدولة العربية الإسلامية. وقد اختط عمرو بن العاص عاصمة جديدة لمصر هى الفسطاط كما أنشأ جامعه الذى يعتبر أول جامع فى إفريقية وهو جامع عمرو بن العاص المعروف بالجامع العتيق أو تاج الجوامع.

على أن نفوذ العرب فى مصر لم يستقر إلا فى سنة ٢٥هـ فقد عاد الروم إلى مهاجمة الإسكندرية وبعد أن تمكنت قواتهم من الإستيلاء عليها تابعت زحفها إلى مايليها من بلاد الوجه البحرى ولما تحرج مركز العرب فى مصر سأل أهل مصر عثمان بن عفان أن يسند حرب الروم إلى عمرو بن العاص لخبرته بمحاربتهم فولاه الإسكندرية وعهد إليه بإخراج الروم من مصر فتغلبت قواته عليهم وبذلك تيسر له إجلاء الروم عن البلاد المصرية.

فتح المغرب:

لما استقر للعرب فتح مصر فكروا فى تأمينها من ناحية الغرب حتى لايعاود الروم مهاجمتهم من هذه الناحية، ومن ذلك نرى أن الضرورة الحربية التى اضطرت العرب إلى فتح مصر من أجل الشام جعلتهم يهاجمون المغرب من أجل مصر فسار عمرو بن العاص إلى برقة واستولى عليها سنة ٢٢هـ ثم تابع سيره حتى وصل طرابلس الغرب - ففتحها عنوة ثم كتب إلى عمر بن الخطاب يستأذنه فى التقدم غرباً إلا أن عمر نهاه عن ذلك وطلب منه العودة إلى مصر بجنوده ولما تولى الخلافة

عثمان بن عفان قام والى مصر عبدالله بن سعد بن أبى السرح على رأس حملة لفتح شمال إفريقية فتوجه من الفسطاط حتى إفريقية (تونس) واوقعت هذه الحملة الهزيمة بالروم عند سبيطلة ثم توقفت الفتوحات لانشغال الدولة الإسلامية بمشاكلها الداخلية.

نتائج الفتوحات الإسلامية :

اقترنت حركة الفتوحات العربية بانتشار الإسلام فى البلاد التى تم للعرب فتحها إذ دخل الدين الإسلامى فى هذه البلاد بدخول العرب فيها ولم يعمل العرب على إرغام أهالى البلاد المفتوحة على الدخول فى الإسلام، لكنهم فرضوا الجزية على الذين آثروا الاحتفاظ بديانتهم.

وقد تبع انتشار الإسلام فى الأقطار التى دخلت فى حوزة الأمة العربية انتشار اللغة العربية بها، وهكذا غلب العرب دينهم وثقافتهم على رقعة كبيرة من الأرض، وكذلك ساعد استقرار القبائل العربية فى البلاد المفتوحة واشتغال أفرادها بالزراعة وتصاهرها مع أهالى تلك البلاد على نشر الإسلام واللغة العربية فيها وهكذا بامتزاج الثقافة العربية الإسلامية بثقافة الأمم والشعوب التى فتحت بلادها وجد ما يسمى بالحضارة الإسلامية والتى كان لها أثر بالغ فى الحضارة الإنسانية.

الفتنة الكبرى :

يقصد بالفتنة الكبرى الأحداث التى وقعت أثناء حكم الخليفة عثمان وانتهت بقتله مظلوما فكان أول خليفة يقتل بيد جماعة المسلمين بسبب الحكم والسلطة. ولهذه الفتنة عوامل مختلفة وقد أدت إلى انقسام عرب مصر وإلى صدام بين عرب البصرة وعرب الكوفة فى موقعة الجمل ثم حرب صفين بين على ومعاوية وما أعقبها من ظهور الخوارج ثم مؤامرة اغتيال على بن أبى طالب ليخرج معاوية بن أبى سفيان بذلك فائزا بمنصب الخلافة الإسلامية ،ويبدأ عهد جديد فى تاريخ الدولة العربية الإسلامية هو العهد الأموي.

وعثمان بن عفان هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أسلم على يد أبى بكر واستعان به الرسول فى كثير من أمور المسلمين وكان من رواة الحديث وبذل عثمان كثيرا من ماله فى سبيل الإسلام وتزوج من ابنتى الرسول رقية ثم أم كلثوم ولهذا كان يلقب ذا النورين .

بويع عثمان بالخلافة سنة ٢٣هـ بعد أن رشح عمر لها ستة من الصحابة إلى أن انحصر الاختيار بين على وعثمان ليكون الخليفة واحد منهم واختير عثمان للخلافة بعد أن رضى عن طيب خاطر أن يتبع سنة من كان قبله ومن ثم نرى أن التنافس قد ظهر منذ ذلك الوقت بين عثمان وعلى أو بالأحرى بين بنى هاشم وبنى أمية وقد أوجدت مبايعة عثمان بالخلافة معارضة من بنى هاشم الذين كانوا يعتقدون

أن عليا أحق بالخلافة من عثمان بن عفان وقد أذكى هذا الأمر روح التنافس القديم الذى كان بين بنى هاشم وبنى أمية على السيادة والزعامة فى مكة. وقد امتدت جذور هذا التنافس إلى ماقبل الإسلام.

ولما صارت النبوة فى بنى هاشم أعلت الرسالة المحمدية من مكانتهم مما أدى إلى اشتداد العداء بينهم وبين بنى أمية وظهر ذلك العداء واضحا فى محاربة بنى أمية للرسول وللمسلمين على أن بنى أمية أخلصوا للرسول بعد فتح مكة كما أن الرسول صلى أعلىَ من شأن أبى سفيان بن حرب بن أمية يوم فتح مكة وصار معاوية بن أبى سفيان من صحابة الرسول كما أسند الرسول إدارة بعض الولايات العربية إلى رجال من بنى أمية كما ظل كثير من بنى أمية عمالا على البلاد فى عهد الخليفتين أبى بكر وعمر وأسندت إلى بعضهم قيادة الجيوش فى حركة الفتوحات الإسلامية وبذلك أصبح لكبار الأمويين النفوذ فى الدولة العربية الإسلامية فى عهد عمر وأتيحت لهم الفرصة للتطلع للسلطة والسيادة فأخذوا يعملون للاستحواذ على السلطة والخلافة. على أن عمر لم يعهد لأحد من بنى هاشم بإمارة الجند كما لم يول منهم أحدا فى بلاد العرب ولا فى البلاد المفتوحة بل استبقاهم بالمدينة ليستشيرهم فى مهام الأمور لأن الشورى كانت أساس الحكم. وقد علل البعض هذه السياسة بأن عمر خشى خروجهم على سلطان المدينة إذا ما تفرقوا فى أرجاء الدولة عمالا على ولاياتها، ويرى البعض الآخر أنه لم يولهم إكراما لقرابتهم من رسول الله وكذلك حرص على إبقائهم خارج نطاق الحكم والسلطة حتى لايتعرضوا النقد للمحكومين

ولما توفى عمر وانتخب عثمان خليفة للمسلمين جاءت الفرصة التى طالما انتظرها الأمويون لإحراز السيادة والزعامة على الهاشميين وكان عثمان فى حاجة إلى خبرة بعض رجال الأمويين فى الحكم فأسند إلى كثير منهم إدارة شئون الولايات الإسلامية ومن ثم أصبحت حكومته مصطبغة بالصبغة الأموية. وأصبح بنى أمية يستأثرون بالنفوذ والسلطة فى عهد عثمان وبرغم إثبات جدارتهم إلا أنه كان من أثر اتباع عثمان هذه السياسة فى تعين ولاته وقصر مناصب الدولة على أقربائه أن قويت المعارضة ضده وأصبح بعض أهل الشورى كعلى وطلحة والزبير فى عداد المعارضين لسياسته وقد أنكر على بن أبى طالب على عثمان إيثاره قرابته وضعفه أمام العمال من أقربائه.

كما أغدق عثمان بن عفان الأموال على أقاربه مخالفا بذلك سيرة أبى بكر وعمر اللذين اتبعا سياسة المحافظة على أموال المسلمين مما أدى إلى تذمر أهل الشورى هذا إلى جانب أن السياسة التى اتبعها فى الولاية والعزل أوجدت أيضا معارضة إيجابية. لقد كان عمر بن الخطاب لا يولى ذا قرابه أو من قبيلة معينة بالذات وإنما يولى على أساس حسن الإسلام والكفاية مع شدة المراقبة والمحاسبة لعماله لكن عثمان خالف سياسة سلفة تماما فقد ولى أقربائه ممن لم يكونوا ذوى سيرة حسنة فى الإسلام كما أهمل المراقبة والمحاسبة وكان عمر بن الخطاب قد أوصى بترك الولاة الذين عينهم فى مراكزهم وعدم عزلهم قبل سنة على الأقل من وفاته ولم تكد تمضى سنة حتى باشر عثمان سلطته فى التولية والعزل ففى الكوفة عزل سعد بن أبى

وقاص عن ولاية الكوفة وعين مكانه أخاه من أمه الوليد بن عقبة بن أبى معيط وكان ذا ماضي سيء فى الإسلام وقيل أن الوليد صلي بالناس الصبح أربعًا وهو سكران ثم التفت إليهم وقال : أزيدكم؟ وفى مصر عزل عنها عمرو بن العاص سنة ٢٧هـ وولي بدلا منه عبدالله بن سعد بن أبى سرح أخو الخليفة من الرضاعة ولم يكن هناك سبب يبرر عزل عمرو بن العاص عن مصر وقيل أن ابن سعد هذا كان صاحب سيرة سيئة فى الإسلام.

وتطورت الأحوال في الولايات الإسلامية وأصبحت الحالة تنبيء بحدوث فتن بين سكانها لذلك واجه الأمراء والولاة مشاكل متعددة فكتب سعيد بن العاص والى الكوفة إلى عثمان بن عفان يخبره بما شاهده فى هذه المدينة من تضاءل الصحابة الذين أسهموا فى الفتح وتزايد عدد القادمين إليها من الأعراب والأعاجم حتى كادوا يستأثرون بالأمر دون الصحابة فبعث عثمان بن عفان إلى سعيد بن العاص يطلب إليه أن يجنب نفسه والناس الفتنة ما استطاع إلى ذلك سبيلا ويقدم الصحابة على غيرهم من سكان الكوفة لأنهم أهل السابقة ومن فتح الله عليه تلك البلاد وليكن من نزلها من غيرهم تبعاً لهم.

كذلك رأى عثمان بن عفان أن يحتاط من الفتنة التى أخذت في الظهور فألقى على أهل المدينة خطبة أخبرهم فيها بما وصله عن الحالة فى الكوفة وحذرهم الفتنة

وعرض عليهم اقتراحا يتضمن أن ينقل إلى الناس فيئهم حيث يقيمون في بلاد العرب ويستبدلوا أملاكهم في الحجاز بغيرها في البلاد المفتوحة وكان هناك فريق من الصحابة يملك المال الكثير في الحجاز ولكن لم يكن له أن يترك الحجاز ويستثمر المال خارجه بسبب السياسة التي وضعها عمر في منع خروج الصحابة إلى الأمصار فلما أباح لهم عثمان ذلك رحبوا بهذا الاقتراح وسارعوا بشراء أراضي في الأمصار الإسلامية المفتوحة من ذلك ما قام به الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله فقد باع ما يملك من أسهم خيبر لأهل الحجاز الذين ساهموا في فتح العراق واشترى بثمنها بعض أملاكهم هناك كما اشترى من بعض أهل الحجاز أرضهم في العراق وحذا حذوه كثير من الناس من أمثال الزبير بن العوام ومروان بن الحكم الأمر الذي أدى إلى وجود الأقطاعات الكبيرة والضياع الواسعة وأدت تلك السياسة إلى إتاحة الفرصة لكثير من القريشيين أن يستبدلوا بأملاكهم في الحجاز أراضي في الأمصار وهذه السياسة وإن كانت قد وسعت على الصحابة في المعاش إلا أنها ساعدت على انتشار الفتن وشد أزرها إذ كانوا يعتزون بصحبتهم للرسول ونسبه فالتف حولهم كثير من العامة وافتتنوا بهم ومع أن عمر منع سكان المدينة من النزوح إلى الأمصار فأبقاهم إلى جانبه مع ما في ذلك من تضييق على حريتهم الشخصية فإنه جنى من تلك السياسة سلامة الدولة.

وكان من أثر سماح الخليفة عثمان للصحابة بالإقامة فى البلاد المفتوحة وامتلاكهم الأراضى بتلك البلاد أن أصبح عدد كبير منهم من كبار الأثرياء ما أدى إلى تذمر العرب الذين كانوا يقيمون فى الأمصار وازداد سخطهم على عثمان وولاته لحرمانهم من أموال الفىء والغنائم وطالبوا الخليفة بالا يعطى من الفىء إلا الذين قاتلوا عليه كما حقدوا على قريش عامة وبنى أمية خاصة لاعتقادهم أنهم اغتصبوا حقوقهم وتمنوا الخلاص من سلطتهم.

وقد ذكر بعض المؤرخين هذه أشياء استحدثها عثمان لم تكن موجودة فى عهد الرسول ولا فى عهد أبى بكر فهو أول من أقطع القطائع وأول من خفض صوته بالتكبير وأول من أمر بالأذان يوم الجمعة وأول من قدم الخطبة فى العيد على الصلاة وأول من أخذ الزكاة على الخيل . ولقد استقبل العرب فى البداية خلافة عثمان بالسرور لما فى طبعه من السماحة واللين عكس سياسة الشدة والحزم التى تميز بها عمر بن الخطاب وقد زاد عثمان فى التوسعه على الناس فى شهر رمضان بأن مد الموائد فى المسجد للمتعبدين والمعتكفين وأبناء السبيل ولم يقف عثمان عند حد البر العام على الناس إنما أخذ يعطى الأعلام من صحابة رسول الله صلى فوق ماكان لهم من عطاء غير أن هذه التوسعة كان لها جوانب وآثار أخرى حيث كانت تعتبر فى نظر البعض مخالفة لسيرة الشيخين أبى بكر وعمر.

كل هذه العوامل أدت إلى استياء الناس من سياسة عثمان وقد حمل لواء المعارضة شخصان أحدهما صحابى من صحابة رسول الله وهو أبى ذر الغفارى والثانى أحد شياطين اليهود ولم يكن يريد للإسلام خيرا وهو عبد الله بن سبأ.

اما أبى ذر الغفارى أحد كبار أئمة الحديث الصحابى الجليل فقد ساءه ما وجده فى المجتمع الإسلامى من تفاوت كبير بين الناس فى الثروة وثراء بعض القرشيين نتيجة لقرارات عثمان وقد خرج أبو ذر إلى الشام وهناك لم يتوقف عن دعوته بالمطالبة بتخفيض الفروق بين الأغنياء والفقراء ولما خاف معاوية بن أبى سفيــــان من خطر دعوة أبى ذر كتب بذلك إلى الخليفة فبعث عثمان إلى أبى ذر يطلب منه العودة إلى المدينة فاستجاب أبو ذر وعاد إلى المدينة وأقام فى قرية صغيرة مجاورة للمدينة واعتزل الناس هناك.

ولـــكن يجب أن نذكـــر أن أبــــا ذر رغم معارضتـــه لسياسة الخليفة فقد تجنب الخروج على طاعه عثمان ولم يقم بأى عمل قد يثير الإضطرابات أو القلاقل ضد الخليفة ولكن دعوته وجدت استجابة عند الكثيرين من فقراء الشام وانتشرت فى أقاليم أخـــرى واستند على هذه الدعوة الذين خرجوا على عثمان وثاروا عليه فيما بعد.

اما عبد الله بن سبأ فقد كان يهوديا من أهل صنعاء وكان يعرف بابن السوداء واعتنق الإسلام فى عهد عثمان ولم يكن يضمر للإسلام والمسلمين خيرا ويعتبر هو

المحرك الأول للثورة على الخليفة بصورة عنيفة حيث استغل حالة الفوضى التى كان عليها الناس وحالة التغير التى أصابت المجتمع الإسلامى وبدأ يحرض للثورة ضد عثمان وأخذ يتنقل بين مصر والشام والعراق وبدأ تآمره منذ سنة ٣٠هـ فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الشام ثم مصر التى ساعدت الظروف فيها على تجمع الناس حوله وقد قال ابن سبأ بمبدأ الرجعة فأشاع برجعة محمد مثل رجعة عيسى وشكك فى خلافة عثمان حتى يكسب الناس إلى جانبه من العلويين كما قال بمبدأ الوصاية أي أن لكل نبى وصيا وأن على وصى رسول الله وأن محمدا خاتم الأنبياء وعليا خاتم الأوصياء.

رأى عثمان إزاء الدعايات السيئة التى يروج لها البعض ضد سياسته أن يبعث فى طلب عماله على الأمصار فى موسم الحج سنة ٣٤هـ ليشاورهم فى الأمر وكيفية مواجهة هذه المكائد والإشاعات واستعرض عثمان مع ولاته الموقف فوجد الذين يتصدرون الفتنة طوائف مختلفة فمنهم الساخط على قريش ومنهم الذين ثاروا وتأثروا بدعوة عبد الله بن سبأ ومنهم الطامع فى الخلافة وغيرهم فشاور عثمان ولاته فأشار بعضهم بإشغال الناس فى الجهاد كما أشار بعضهم بضرورة الحزم والشدة مع رؤوس الفتنة وزعمائها . وطلب معاوية بن أبى سفيان من الخليفة رد العمال إلى أمصارهم والاعتماد على مساعدة قواتهم فى القضاء على تلك الفتنة ورأى عثمان

فى نهاية الاجتماع أن يعود الولاة إلى أمصارهم وأن يحسنوا إلى الرعية وأن يعدوا الناس للجهاد.

وبعد أن انفض هذا الاجتماع عقد عثمان اجتماعا آخر فى المدينة مع كبار الصحابة من أهل الشورى من بينهم علي بن أبي طالب وسعد بن ابي وقاص ، وتدارس الخليفة معهم الموقف وانتهى الاجتماع بتراضي الجميع بعد أن أظهر عثمان استعداده أنه لن يتصرف فى شيء إلا بعد مشورتهم.

وبينما كان اجتماع مكة منعقداً سنة ٣٤هـ قامت ثورة في الكوفة يقودها أحد كبار رجال اليمن وهو مالك بن الأشتر النخعى وذلك فى ولاية سعيد بن العاص الذى حقد عليه أهل الكوفة لكونه أمويا قريبًا لعثمان وقد نجح سعيد فى إخراج الأشتر ورجاله إلى الشام ولما وصل هؤلاء الثوار إلى الشام خاف معاوية من تواجدهم فكتب للخليفة ان يردهم ثانية للكوفة فلما عادوا للكوفة استمروا على ما كانوا عليه من إشعال نار الفتنة فكتب سعيد بن العاص إلى الخليفة الذى أمر بتسييرهم إلى والي حمص بالشام الذى أخذهم بالعنف وأجبرهم على الطاعة .

وتطورت الأمور فقد كتب أتباع ابن سبأ فى مصر لأشياعهم فى الكوفة

والبصـــرة بالثورة عـلى أمرائهم وتواعدوا على الالتقاء فى المدينة لمساءلة الخليفة فى بعض الأمور، وفى الكوفة عاد إليها الأشتر النخعى عاصيا بعد توبته والتحق بهم بجنودهم فى ثورتهم وقد نزلوا فى موضع يقال له الجرعة قرب الكوفة وهناك وجدوا أمير الكوفة سعيد بن العاص عائدا من اجتماع الخليفة فردوه وطلبوا عزله وتعيين أبا موسى الأشعرى مكانه فأجابهم الخليفة إلى ماطلبوا وتواعد الثوار على التقابل فى السنة التالية ورتبوا أمورهم على الخروج إلى المدينة المنورة كحجاج وخرج ثوار مصر والبصرة والكوفة سنة ٣٥هـ والتقوا جميعا فى المدينة المنورة وأظـهروا أنهم جاءوا للحـج حتى لايتعرض أحـد لهم وقد تصـدى لهم فى المدينـة على بن أبى طالب وطلحة والزبير وهم الذين أظهرا الثوار التشيع لهم ولكن هؤلاء الصحابة دافعوا عن عثمان وأعرضوا عن قبول البيعة وأقنعوهم بالعودة إلى بلادهم- فقرروا ذلك.

وقيـل أن الخليفة عثمان قام بجمع هؤلاء الثوار فى مسجد المدينة بعد أن علم بقدومهم وعلى مشهد من الصحابة وأهل المدينة حيث عرض هؤلاء الثوار مآخذهم على الخليفة فاستمع لهم ومن هذه المآخذ تولية أقربائه، ورد الحكم بن العاص إلى المدينة بعد أن نفاه الرسول عنها وغير ذلك من المآخذ على أن الخليفة أثبت براءته من كل هذه التهم وأقنعهم ببطلان كل هذه الإدعاءات مما جعل الثوار يشرعون فى العودة إلى أمصارهم .

على أن الثوار مالبثوا أن عادوا مرة أخري إلى المدينة وهم يقولون من كف يده فهو آمن ولما سألهم كبار الصحابة عن سبب عودتهم قالوا إنهم وجدوا كتاب مع شخص كان يتبعهم وقد شمل الكتاب على أمر من الخليفة عثمان بقتل عدد منهم بمافيهم واليهم الجديد محمد بن أبى بكر وقد عاد أيضا جماعة الثوار من الكوفة والبصرة بحجة نصرة إخوانهم المصريين.

وقد أنكر عثمان صلته بالكتاب أو كتابته له وقيل أن مروان بن الحكم هو الذي أرسل غلام عثمان بهذا الكتاب الذي ختمه بخاتم عثمان. وذكر السيوطي قصة هذا الكتاب وأن الصحابة عرفوا أنه خط مروان فطلبوا من عثمان أن يدفع إليهم مروان فأبي وكان مروان عنده في الدار .وقد شكك بعض المؤرخين في وجود هذا الكتاب وقيل أن السبئية هم الذين اختلقوا قصة هذا الكتاب للإيقاع بين الثوار والخليفة.

وقد عرض الخليفة على الثوار أمرين ليثبت براءته من هذا الكتاب المزعوم، أن يقسم اليمين بالله أنه لم يكتب كتابا أو أن يقيموا عليه شاهدين من المسلمين بأنه لم يكتب أو يعلم بأمر ذلك الكتاب فرفضوا ذلك وحاصروه وطالبوه بالتنازل عن الخلافة ولكن عثمان رفض طلبهم وقال "والله لن أخلع قميصا كسانى إياه الله تعالى" وأرسل يطلب النجدة من الأمصار لمواجهة الثوار واشتد التوتر بعد أن علم الثوار أن عمال الخليفة أجابوا طلبه وأرسلوا قوات من عندهم لنجدته هذا وقد بعث

علي بن أبي طالب الحسين والحسين لحراسة باب عثمان ومنع الناس من الوصول إليه ، كما بعث الزبير ابنه وبعث طلحة ابنه، وبعث عدة من أصحاب رسول الله أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا علي عثمان ويسألونه إخراج مروان . وتطورت الأمور وشدد الثوار الحصار على الخليفة ثم منعوه بعد ذلك الخروج للصلاة وألزموه بيته وشددوا الحصار على الخليفة حتى منعوا وصول الماء والزاد إليه واستمر هذا الحصار مدة أربعين يوما والخليفة يحذرهم من الفتنة دون جندى وقيل أن أكثر الصحابة خرجوا من المدينة بعد أن أرسلوا أبناءهم لحراسته والدفاع عنه، ورأى الثوار ضرورة قتل الخليفة وطلب منه أحدهم أن يحقن الدماء ويخلع نفسه فرماه أحد المدافعين عن عثمان بسهم أصابه فقتله فازدادت ثورة الثوار لهذا الحدث وطالبوا بتسليم القاتل وأخيرا اقتحموا دار عثمان في يوم الجمعة ١٨ من ذى الحجة سنة ٣٥هـ وقتلوا الخليفة وهو يقرأ القرآن فقتله أحدهم بحديدة ثم هوى ضربا بالسيف على جسد الخليفة حتى قتل وصرخت امرأته وصعدت إلي الناس وقالت إن أمير المؤمنين قد قتل . واتجه الناس بعد ذلك إلى على يبايعونه بالخلافة بعد مقتل عثمان بخمسة أيام واضطر على لقبول الخلافة في ظروف صعبة كانت تمر بها الدولة الإسلامية.

الصراع بين على ومعاوية ونهاية عصر الخلفاء الراشدين:

لم تأت بيعة على بن أبى طالب بالخلافة عن طريق الشورى ورأى أهل الحل والعقد بالمدينة أو حتى بالاجماع كما حدث للخلفاء الثلاثة السابقين. فقد تولى

على بن أبى طالب الخلافة فى ظروف صعبة كانت تمر بها الدولة تولاها فى أعقاب فتنة أصابت الدولة وانتهت بمقتل خليفة مظلوما ولم تهدأ الدولة وتستقر أمورها بمقتل الخليفة بل مازال المتربصون بالإسلام والمحرضون على الفساد يترصدون للإسلام وقد انقسم الناس وقتذاك إلى جماعات فمنهم مطالب الخليفة الجديد الأخذ بالثأر لدم الخليفة المقتول، ومنهم من اتهم عدد من الصحابة وعلى رأسهم على بعدم قيامهم بالدفاع عن عثمان كما يجب ومن الناس من آثر الاعتزال وترك المدينة وقد استمرت الفتنة لتأخذ شكل حرب أهلية بين العرب المسلمين فكان قتل عثمان أول فصول المأساة إذ مزقت الحرب الأهلية وحدة الدولة شر ممزق.

وكان على على بن أبى طالب أن يعالج الموقف بحكمة وإذا كان على قد اتهم فى دم عثمان فليس هو وحده المسئول عن حماية الخليفة فأين باقى الصحابة من المهاجرين والأنصار، ولقد أشارت المصادر إلى أن الحسن والحسين أبنى على كانا يحملان السلاح دفاعا عن الخليفة ويتوليان حراسة منزله ولم يكن عثمان يتصور أن تتطور الأمور إلى ما انتهت إليه ويهون على الناس خليفتهم وقد قيل أن عثمان طلب من حراسه من أبناء الصحابة وضع أسلحتهم والتزامهم بيوتهم حتى لايؤدى الأمر إلى اقتتال المسلمين وسلم بقضاء الله.

ولا شك أن تولية على الخلافة بعد عثمان كان أمراً لاجدال فيه عند المسلمين بل إن تأخيره عن أبى بكر وعمر وعثمان كان أمراً غير طبيعى فى نظر بنى هاشم

وأنصارهم الذين كانوا يعتقدون بأحقيته فى الخلافة عن هؤلاء الصحابة ولكنه رغم ذلك لقى معارضة قوية من بنى أمية كما تخلف عن بيعته بعض المهاجرين والأنصار لأنه بويع في فتنة قتل فيها خليفة ولأن الذين قتلوا عثمان سخطاً عليه هم الذين حرصوا على اختيار علي ليسير بالمسلمين غير سيرته.

بدأ على عمله بالقضاء على نظام حكومة عثمان وما نتج عنها من الآثار السيئة ولم يكن فى مقدور على الاحتفاظ بولاة عثمان لأنه كثيراً ما وجه إليه اللوم على توليتهم لذلك شرع بعد أخذه البيعة من أهل المدينة فى عزل هؤلاء الولاة وتولية غيرهم وكان قد نصحه المغيرة بن شعبة وعبدالله بن عباس بأن يقر عمال عثمان على أعمالهم حتى يستتب الأمر له فلم يستمع إلى نصحهم وأنفذ عماله إلى الأمصار ليحلوا محل عمال عثمان واعتقد الخليفة أنه بذلك يزيل أسباب التذمر.

كانت أحوال الدولة الإسلامية مضطربه وبينما كان على يحاول إقرار الأمور ويجهز قواته لغزو الشام بعد ما وصل إليه أمر معاوية وعدم إجابته إلى طلب البيعة - فوجىء بتجمع فى مكة بقيادة طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام يطالب الخليفة بالتحقيق فى مقتل عثمان وأخذ الثأر من قاتليه وقد نصح على بن أبى طالب الذين طالبوا بدم عثمان أن يتريثوا حتى إذا هدأت النفوس وعاد الأمن إلى نصابه أجرى الحق مجراه وتمكن من إنزال الجزاء بقتلة عثمان إلا نصائحه لم تجد آذانًا مصغية وكان يقيم بمكة إذ ذاك السيدة عائشة بنت أبى بكر وزوج الرسول وقيل أنها كانت

تبغض عليا فلما بلغها انتخاب على رأت أن الأمور سارت على غير ماتريد فأعلنت أن عثمان قتل مظلوما وانضم إليها طلحة والزبير».

وقد قيل إن الزبير كان يطمع فى ولاية العراق وطلحة فى ولاية اليمن فلما أرسل على الولاة ولم يكن لهما حظ فى الولاية نقما عليه وندما على بيعتهما وعزما على الخروج فاستأذنا عليًا فى الخروج إلى مكة لأداء العمرة ولكنه لم يخف عليه أمرهما.

أصبحت مكة موئلاً للناقمين علي علي من غير أهل الشام فانضم إلي طلحة والزبير في خصومتهما لعلي أفراد جاءوا من الأمصار ، منهم عبد الله بن عامر من البصرة الذي قدم بمال كثير، ويعلي بن أمية من اليمن ومعه ستمائة بعير ومال كثير وغيرهما واستقر رأيهم علي الخروج إلي البصرة وبصحبتهم السيدة عائشة .

وعلى أية حال فقد خرج طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة فى ستمائة رجل وتقاتل الناس عند مكان يعرف بالخريبة على مقربة من البصرة والتقى الناس حول الجمل الذى كان عليه هودج السيدة عائشة ووقعت موقعة الجمل الأولى عند مكان يعرف بالزابوقة واستولى اصحاب الجمل على البصرة سنة٣٦هـ.

كانت سياسة على وقتذاك موجهة إلى إخضاع معاوية والاستعداد لغزو الشام فلما علم بخروج السيدة عائشة وطلحة والزبير وذهابهم إلى البصرة عول على المسير فى آثارهم ومضى إلى الكوفة ليستنجد بأهلها واستجاب عدد من الكوفيين لدعوة

على وخرج عدد غير قليل منهم معه ميؤازره فى تلك الحرب المتوقعة وسار على بهذا المدد إلى البصرة.

قدم على إلى البصرة بجيش كان فيه قتلة عثمان الذين رأى على أنه من الحكمة عدم قتلهم فى بداية حكمه حتى لايفتح عليه بابا يصعب إغلاقه وقد اختلف السفراء بين على وبين أصحاب الجمل ولم يجدوا خلال مشاوراتهم خيرا من الصلح وكاد الأمر ينتهى بينهم لكن حدث مالم يكن فى الحسبان إذ قام فريق من الناس وهم الذين آثاروا أمر عثمان بمهاجمة معسكر أصحاب الجمل ليشعلوا نار الحرب بين على وأصحابه فثار أهل الجمل وظنوا أن عليا غدر بهم فأدى ذلك إلى اشتباك الفريقين في حرب طاحنة هزم فيها أصحاب الجمل «ومعركة الجمل الثانية »(جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ) واستخلص على البصرة من أيديهم وقتل طلحة والزبير ورأى على قبل أن يترك البصرة إعادة السيدة عائشة إلى المدينة فجهزها بما تحتاج إليه فى سفرها كما سير معاها أخاها محمد بن أبى بكر.

وهكذا فتحت موقعة الجمل بابا جديداً من العداوة والفرقة بين المسلمين فوقفت لأول مرة البصرة من الكوفة موقفا عدائياً.

على ومعاوية :

انتصر على فى موقعة الجمل ورغم انتصاره فإن خلافته كانت تواجه الكثير من الصعوبات بسبب القتال بين المسلمين بعضهم مع بعض يوم الجمل ومما زاد

الحقد فى النفوس وجود قتلة عثمان فى جيش على - ولم يكد على يفرغ من بيعة أهل البصرة ويستقرله الأمر فى العراق حتى وجه اهتمامه إلى بلاد الشام حيث معاوية بن أبى سفيان وكان معاوية من أبى سفيان قد أبى الإذعان لأوامره فبعث إليه جرير بن عبد الله البجلى يدعوه إلى بيعته والدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار من طاعة ولكن معاوية أخذ يماطله بل أنه امتنع عن بيعة على بحجة أنه آوى قتلة عثمان وأنه ليس لعلى أن يعزله عن ولاية الشام التى ولاه عليها عثمان بن عفان .

واستقر رأى على بعد أن بلغه موقف معاوية وأنصاره بالشام منه على الاستعداد للمسير إليهم ليردهم إلى طاعته فسار بقواته أواخر ذى القعدة سنة ٣٦هـ إلى حدود الشام والتقى جيشه مع جيش معاوية فى سهل يعرف بصفين "وقد حرص على قبل أن تشتبك قواته مع قوات أهل الشام على أن يرسل إلى معاوية بعض أتباعه يدعونه إلى الطاعة فلم يرجعوا من عنده بشىء ثم دارت مناوشات يسيرة بين جماعات من كلا الفريقين وقد ظهر للجميع بعد فشل المحاولات أنه لا مفر من حدوث صدام بين جند الشام والعراق ومن ثم تأهب على بقواته لمهاجمة جند الشام وأعد معاوية العدة لصد هذا الهجوم. ثم وقعت هناك معركة كبيرة أوشك فيها جيش العراق بقيادة على أن يحقق النصر فيها وأدرك معاوية ومن معه قرب هزيمتهم فلجأوا إلى التحكيم وهي فكرة عمرو بن العاص وذلك برفع المصاحف على الرماح وطلب وقف القتال وتحكيم كتاب الله بين المتحاربين.

كانت فكرة التحكيم هي فكرة عمرو بن العاص الذي كان على يقين من أن هذه الفكرة سيأبى قبولها فريق من جيش على مما يترتب عليه إثارة الخلاف بينهم وهو مايسعى جاهدا لتحقيقه ولم يلبث عمرو أن كشف عن حيلته ودعا جند الشام إلى رفع المصاحف فلما شاهد أصحاب على هذه المصاحف سارع كثير منهم يدعونه إلى قبول تحكيم كتاب الله فأبى على وبين لهم أن معاوية واتباعه ليسوا بأصحاب دين ولاقرآن وأن رفع المصاحف ماهو إلا خديعة ومكيدة لإثارة الفتنة، لكن فريق القراء من جنده أخذوا يلحون عليه في الاستجابة إلى تحكيم كتاب الله، كما استنكروا المضى في القتال وأنذروا عليا بمفارقته إذا لم يطلب من الأشتر ابن مالك النخعى الكف عن الحرب، فأرسل على إلى الأشتر وكان إذ ذاك قد أشرف على إحراز النصر، يطلب إليه وقف القتال فلم ير بداً من الإذعان لطلبه خوفاً من الفتنة وبذلك انتهت واقعة صفين وحل محلها التحكيم.

بدأت الفرقة تظهر بين أنصار على منذ ذلك الوقت لأن بعض جنده الذين رحبوا بالتحكيم في بادىء الأمر عدلوا عن رأيهم وخرجوا على علي، وأخذت الصعاب والمشاكل تلاحق على بن أبي طالب منذ اضطر إلى وقف الحرب وقبول التحكيم بعد «صفين» تلك المعركة التي كان من مصلحة الإسلام ألا تقع وقد كان الحسن بن على كارها خروج أبيه من المدينة إلى العراق لما يخشاه من نشوب الحرب مع أهل الشام.

هذا وقد اتفق الطرفان «على ومعاوية» على أن يختار كل منهما رجلا من قبله للتحكيم فوقع اختيار معاوية على عمرو بن العاص واختار اتباع على أبا موسى الأشعرى واجتمع الحكمان المفوضان من أهل الشام والعراق فى صفر سنة ٣٧هـ وكتبا صحيفة تضمنت قبول الفريقين المتنازعين تحكيم كتاب الله وواصل الفريقان المتنازعان (على ومعاوية) اهتمامهما باجتماع الحكمين مرات أخرى للبحث فى المسائل التى كانت مثار اختلاف بين المسلمين حتي جاء الاجتماع الأخير وفيه استقر رأيهما على خلع على ومعاوية وترك الأمر شورى بين المسلمين فيختارون لخلافتهم من يرضون.وقد ذكرت بعض المصادر أن عمرو بن العاص خدع أبا موسى وغدر به واتفق معه على خلع على ومعاوية فقام أبو موسي فخلع الإثنان .ثم مالبث أن عدل عمرو بن العاص عن رأيه وقام خطيبا فى الناس فلم يخلع إلا عليا وثبت معاوية .

بينما ذكر آخرون أنه لم يكن بين الحكمين غير ماكتباه فى الصحيفة وأنهما اتفقا على خلع على ومعاوية وأن يولى المسلمون من أحبوا ولم يتقدم أى فرد منهما للكلام . وعلى أية حال فقد انتصر بهذا الحكم الذى أصدره الحكمان معاوية بن أبى سفيان لأنه بمقتضاه خلع على من الخلافة أما معاوية فلم يصبه شيئا لأن كان واليا فقط على بلاد الشام فإذا عزل فإنى يعزل عن ولاية الشام .

وهكذا لم يعمل الحكمان اللذان وقعا عليهما الاختيار على إنهاء الخصومة وتوحيد كلمة المسلمين بل زاداهم فرقة فإن قرار خلع على ومعاوية وترك الأمر

شوري لايؤدي إلا إلى كثرة المطالبين بالخلافة وشدة التنافس بين أنصارهم أو عودة الأمر كما كان قبل التحكيم واستمرار النزاع بين علي ومعاوية وجدهما هذا وقد أشار علي بن أبي طالب إلى أن الحكمين لم يعملا بالسنة ولم يتخذا القرآن حكمًا وتمسك بالبقاء في منصب الخلافة.

ظهور الخوارج :

لما كتب كتاب التحكيم رفضت طائفة القراء من قبائل بكر وتميم وطيء التي كانت مع جيش علي فكرة التحكيم برغم أنهم هم الذين دفعوا عليا إلى قبولها واعترضوا على تلك الفكرة بقولهم «لا حكم إلا الله» وكثر عدد هؤلاء حتى قيل أنه بلغ إثني عشر ألفا ورفضوا أن يدخلوا مع علي الكوفة ونزلوا بحروراء (وهي قرية من قرى الكوفة) لاعتقادهم أنهم أخطأوا بقبولهم فكرة التحكيم لأن حكم الله في الأمر واضح، والتحكيم يتضمن شك كل فريق من المحاربين في أيهما أحق. فخرج إليهم الخليفة يبين لهم أنه قبل التحكيم كارها وأنهم اضطروه إلى ذلك ثم دعاهم إلى دخول الكوفة فدخلوا معه على أن الوئام لم يستمر طويلا بينهم وبينه وواصل هؤلاء مناهضته وأصروا على دعواهم.

وعرفت هذه الطائفة بالخوارج لأنهم خرجوا عن جماعة علي وعرفوا بالحرورية نسبة إلى قرية حروراء وعرفوا بالشراة لقولهم أنهم إشتروا أنفسهم بأن باعوها في سبيل الله واختاروا من بينهم قائدا وإماما هو عبدالله ابن وهب الراسبي

من قبيلة راسب من الأزد وقد اتفق هؤلاء الخوارج على الخروج من الكوفة مرة أخرى واتجهوا إلى النهروان فى شوال سنة ٣٧هـ .

صمم على على الخروج إلى النهروان حتى إذا ماالتقى بالخوارج دار بينه وبينهم حوار قبل أن يشتبك معهم فى القتال عن الأسباب التى حملتهم على الخروج عليه وقد حاول فى هذا الحوار إقناعهم ومحو أسباب الخلاف بينه وبينهم فطلب منه نحو ثمانية آلاف منهم البيعة والأمان وبقى نحو أربعة آلاف فأوقع بهم الهزيمة سنة ٣٨هـ لكنه مع ذلك لم يتيسر له القضاء عليهم وعلى آرائهم فظل بعضهم يقيم معه بالكوفة كما أقامت جماعة منهم بالبصرة كما أخذ هؤلاء الخوارج فى الانتشار فى بلاد فارس واليمن والمغرب وكونوا فرق [illegible]ـة وسياسية لعبت دورا هاما فى تاريخ الدولة الإسلامية.

لما فرغ على من القضاء على فتنة الخوارج دعا أنصاره للخروج لغزو الشام من جديد لمقاتلة جند الشام الملتفين حول معاوية ولكنهم آثروا الإقامة بالكوفة وتخاذلوا عن نصرته مع أنه كان فى مقدورهم بفضل كثرة عددهم ووفرة عدتهم إعلان كلمته والتغلب على أعدائه من أهل الشام أما معاوية فكان أنصاره طوع إرادته وتزايدت أعدادهم وكان إذا دعاهم أجابوا وإذا أمرهم أطاعوا وقد تجلى إخلاصهم له فى معاونته على توطيد سلطانه.

وبينما كان على يستحث جنده على القتال اشتدت الصعاب التى واجهت عليا إلى دولته نفسها فصار معاوية يغير على أقطار هذه الدولة بعد أن بلغه ما وصل إليه

أمر على من الضعف والوهن فأنفذ جيشا من أهل الشام إلى مصر لاستخلاصها منه وقد تمكن هذا الجيش من هزيمة واليها محمد بن أبي بكر ودخلت مصر في حوزة معاوية سنة ٣٨هـ وزال سلطان على عنها.

كذلك عمد معاوية إلى توجيه بعض الحملات إلى أطراف العراق وشجعه النجاح الذى أحرزته حملاته فى أطراف العراق على المضى فى إنفاذ حملات أخرى إلى بلاد العرب وقد نجحت تلك الحملات في الاستيلاء على المدينة ثم سارت إلى مكة حيث أكره أهلها على البيعة لمعاوية وتم القضاء على جماعة كثيرة من شيعة على.

وقد رأى على بن أبي طالب بعد هذه الأحداث التى تعرضت لها دولته أن يحاول من جديد حمل أصحابه على النهوض معه لقتال أهل الشام فلما حدثهم عن حقيقة موقف أهل الشام ورغبهم فى الجهاد تأثرت نفوسهم فسارعوا إلى استجابة دعوته بعد أن كانوا يتلكئون فى النهوض معه وبايعه أربعون ألف من أهل العراق على الموت وزاد حماسهم للتخلص من معاوية حين بلغهم ذهابه إلى بيت المقدس وأخذه البيعة سنة ٤٠هـ.

وبينما كان على يستعد للخروج بهذا الجيش حدثت مؤامرة الخوارج التى دبروها للتخلص من على ومعاوية وعمرو بن العاص بالقتل والاغتيال فى ليلة واحدة لتستريح البلاد، وكان هؤلاء الخوارج هم عبد الرحمن بن مَلْجَم الذي تكفل

بقتل علي، والبُرك بن عبد الله التميمي وتكفل بقتل معاوية وعمرو بن بن بكر وتكفل بقتل عمرو بن العاص وتعاهدوا علي ذلك . وقد نجحت هذه المؤامرة التى دبرت يوم ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ فى قتل على بن أبى طالب على يد الخارجى عبد الرحمن بن ملجم المرادى الذى سدد إليه طعنة صائبه بخنجر مسموم وهو فى طريقة إلى مسجد الكوفة لأداء صلاة الفجر بينما نجا من هذه المؤامرة كل من معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص.

وقد رفض على قبل وفاته أن يعهد لأحد من بعده بالخلافة ومات على فعقد الناس بالبيعة بعده لأبنه الحسن بن على وكانوا يرون أنه أحق بالخلافة من معاوية أو غيره ولما أيقن الحسن أنه لاقبل له بمعاوية وجنده وأن أهل العراق ليسوا جادين فى نصرته كتب إلى معاوية يطلب الصلح ولاشك أن الحسن آثر الصلح مع معاوية حقناً للدماء المسلمين وجمعاً لكلمتهم ولم يحفل الحسن بمعارضة بنى هاشم وشيعتهم بالعراق لهذا الصلح الذى رأوا فيه نوعا من التسليم وقد تم عقد البيعة من الحسن لمعاوية فى ربيع الأول سنة ٤١هـ وسمى ذلك العام عام الجماعة ولقد دخل معاوية بعد ذلك وأعوانه الكوفة فبايعه أهلها وبقية المسلمين ولما فرغ الحسن من أمر الصلح وبيعة معاوية ارتحل بأهل بيته إلى المدينة ولم يزل مقيما بها حتى توفى سنة ٥١هـ. وهكذا تحققت أطماع معاوية بن أبى سفيان واستقرت له الخلافة وبدأ عهد جديد هو عهد الخلافة الأموية الذى استمر من سنة ٤١هـ إلى ١٣٢هـ حيث سقطت وقامت خلافة جديدة هى الخلافة العباسية.

الفصل الثالث

الخلافة الأموية ٤١هـ-١٣٢هـ ٦٦١-٧٥٠م

الفصل الثالث

الخلافة الأموية ٤١هـ - ١٣٢هـ ٦٦١ - ٧٥٠م

انتقلت الخلافة الإسلامية إلى الأمويين بعد مقتل الخليفة الرابع على بن أبى طالب سنة ٤٠هـ وتنازل إبنه الحسن بن على عن الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان ولقد بايع الناس معاوية بالخلافة سنة ٤١هـ ومنهم من بايعه طواعية وإختيارا كأهل الشام ومنهم بايعه اضطرارا كأهل العراق والحجاز.

تميز العصر الأموى بسمات خاصة غلبت عليه أهمها:

أولاً: إنتقال مركز الخلافة إلى بلاد الشام واتخاذ دمشق عاصمة للخلافة.

ثانياً: تحويل نظام الخلافة من نظام الشورى الانتخابى إلى نظام الملكية الوراثى.

ثالثاً: تعريب العملة والدواوين.

رابعاً: سيادة العنصر العربى فى الدولة باعتبار أنه العنصر الحاكم.

خامساً: استمرار وتطور الجماعات السياسية والفرق الدينية كفرق الخوارج والشيعة.

أما خلفاء الدولة الأموية فهم:

١ - معاوية بن أبى سفيان ٢ - يزيد بن معاوية (يزيد الأول).

٣ - معاوية بن بن يزيد (معاوية الثانى). ٤ - مروان بن الحكم.

٥ - عبد الملك بن مروان. ٦ - الوليد بن عبد الملك بن مروان.

٧ - سليمان بن عبد الملك بن مروان. ٨ - عمر بن عبد العزيز.

٩ - يزيد بن عبد الملك. ١٠ - هشام بن عبد الملك.

١١ - الوليد بن يزيد بن عبد الملك (الوليد الثانى).

١٢ - يزيد بن الوليد بن عبد الملك (يزيد الثالث).

١٣ - إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك.

١٤ - مروان بن محمد بن الوليد (مروان الثانى).

هـذا وتنسب الدولة الأموية إلى "أمية" جد معاوية لأبيه إذ أن الاسم الكامل لمعاوية هو: معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى.

وكان "أمية" سيدا من سادات قريش فى الجاهلية يماثل فى الشرف والرفعة عمه هاشم بن عبد مناف وكان يتنافسان على رياسة قريش ولما جاء الإسلام تغيرت

العلاقة بين بنى "أمية" وأبناء عمومتهم من بنى هاشم إذ انقلب التنافس إلى عداء ظاهر لأن بنى "أمية" وقفوا موقف العداء لرسول الله صلى ودعوته وكانت لأبى سفيان بن حرب والمقلب بصخر وهو والد معاوية الزعامة الفعلية في مكة وقت ظهور الإسلام ولم يدخل فى الإسلام إلا قبيل فتح مكة ثم تبعه الأمويون فدخلوا جميعا فى الإسلام بعد أن تم للرسول فتح مكة وأظهر بنو أمية بعد دخولهم فى الإسلام بطولات رائعة فى الحروب الإسلامية.

معاوية بن أبى سفيان ٤١هـ - ٦٠هـ:

يتسب معاوية بن أبى سفيان بن حرب مؤسس الدولة الأموية إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى ، ولد معاوية بمكة قبل البعثة بخمس سنين وأسلم معاوية يوم فتح مكة هو وأبوه وأمه هند، وكان سنه ثلاث وعشرون سنة وقد اتخذه الرسول كاتبا للوحى وورى معاوية الحديث عن أبى بكر وعمر وعثمان وقد ولى معاوية الشام في خلافة أبى بكر وعمر وعثمان وتولى الخلافة بعد مقتل على وتنازل إبنه الحسن عن الخلافة سنة ٤٠ - ٤١هـ.

جاهد معاوية بن أبى سفيان فى عهد عمر فى سبيل الدين الإسلامى وقد وصفه المؤرخون بصفات طيبة ويهمنا أن نذكر أنه ابتكر فى الدولة أشياء لم يسبقه إليها أحد منها أنه أول من وضع الحشم للملوك ورفع الحراب بين أيديهم ووضع المقصورة التى يصلى الملك أو الخليفة بها فى الجامع منفرداً بين الناس وذلك لخوفه

مما جرى لأمير المؤمنين على رضى الله عنه فصار يصلى منفرداً فى المقصورة فإذا سجد قام الحرس على رأسه بالسيوف.

ومعاوية بن أبى سفيان هو أول من وضع البريد لوصول الأخبار بسرعة وأصبح هذا النظام أداة هامة فى إدارة شئون الدولة وقد تطور هذا النظام بعد ذلك.

ومعاوية بن أبى سفيان هو أول من إخترع من النظم الإدارية ديوان الخاتم وكان من أكبر دواوين الدولة واستمر هذا الديوان إلى العهد العباسى وفيه نواب مهمتهم نسخ أوامر الخليفة وإيداعها هذا الديوان بعد أن تحزم بخيط وتختم بالشمع ثم تختم بخاتم صاحب هذا الديوان وكان الذى حمل معاوية على اختراع هذا الديوان أنه أحال رجلاً على زياد بن أبيه أمير العراق بمائة ألف درهم فمضى ذلك الرجل وقرأ الكتاب وكانت توقيعاتهم تصدر غير مختومة فجعل المائة مائتين فلما رفع زياد حسابه إلى معاوية أنكر هذا العدد وقال: ما أحلته إلا بمائة ألف ثم إستعادها منه ووضع ديوان الخاتم، وصارت التوقيعات تصدر منه مختومة لايعلم أحد ماتشمل عليه ولايتمكن أحد من تغييرها، وهذا الديوان يعد من الدواوين الكبرى منذ خلافة معاوية إلى أواسط عهد الدولة العباسية ثم ألغى لتحول الأعمال إلى الأمراء والوزراء والسلاطين وغيرهم.

علاقة معاوية بأهل بيته من الأمويين:

كان علي معاوية آن يحدد صلته بأفراد أسرته من بنى أمية وتمثلت سياسته فى الإستعانة بهم فى حكم الدولة دون أن يمكنهم من السلطة وعدم إطالة مدد ولاياتهم ووضعهم على الدوام تحت المراقبة وقد عمل معاوية على تركيز كل أمور الدولة فى يده وعمل على تدعيم نفوذه واختار ولاته من كبار المخلصين لبنى أمية مثل عمرو بن العاص وزياد بن أبيه والمغيرة بن شعبة فجعل عمرو بن العاص واليا على مصر حتى وفاته بها سنة ٤٣هـ وجعل المغيرة بن شعبة واليا على الكوفة وزياد واليا على البصرة ولما توفى المغيرة ضم ولاية الكوفة لولاية البصرة فى ولاية واحدة وجعلها لزياد ولقد كان المغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه من دعائم الدولة الأموية واستطاعا القضاء على الفتن والثورات التى كان يشعلها العلويون والخوارج ولكى يرفع معاوية من قدر زياد قام باستلحاقه بنسبه فجعله زياد بن أبى سفيان بعد أن كان يعرف بزياد بن أبيه وزياد بن عبيد كما أضاف له معاوية الولاية على خراسان وسجستان والهند والبحرين وعمان

الفتوح فى عهد معاوية:

ولقد أولى معاوية اهتمامه بحركة الفتوح الإسلامية فقامت جيوشه سنة٤٣هـ بفتح بلاد سجستان فى الشرق من بلاد ماوراء النهر، شرقى نهر سيحون، والتى كانت تضم مرو–وبلخ وهراة وغيرها ونجحت القوات الإسلامية فى الاستيلاء على بخارى.

كذلك أرسل معاوية القائد العربى عقبة بن نافع إلى إفريقية للتوسع فى بلاد المغرب فنجح فى ذلك وأسس مدينة القيروان التى منها إنطلقت القوات الإسلامية بعد ذلك وواصلت زحفها على شمال إفريقيا.

وأعلن معاوية الجهاد ضد دولة الروم.وأعد من أجل ذلك الاسطول الإسلامى ليغزو به عاصمة الروم القسطنطينيه من البحر كما أعد جيشا لمهاجمتها من البر وقامت تلك القوات البرية البحرية سنة ٤٨هـ بمهاجمة القسطنطينية ومحاصرتها ولكن حصانتها حالت دون سقوطها فى أيدى المسلمين وقد نجح الأسطول الإسلامى فى الاستيلاء على جزر قبرص ورودس فى البحر المتوسط وضمها إلى الدولة الإسلامية.

تولية يزيد العهد:

على أن أهم شىء استحدثه معاوية هو جعل الحكم فى الدولة العربية وراثيا وهذا شىء جديد بالنسبة للعرب والإسلام، ولاشك أن معاوية قد أعجبه نظام وراثة الملك الذى عرفته بلاد الشام حين كانت تحت حكم الرومان ففكر فى نقل هذا النظام إلى دولته بعد أن رأى أن مثار الخلاف بين المسلمين وانقسامهم شيعا وأحزابا هو المنافسة على الحكم ومالبث أن هداه تفكيره إلى أن تلافى المنازعات على الخلافة لايتحقق إلا بجعل الخلافة وراثية ينقلها لأبنه يزيد مع أن أمر الخلافة ليس ملكا خاصا له وإنما هو ملك لسائر المسلمين.

وقيل أن معاوية نظر ورأى أن شباب قريش من للمعاصرين ليزيد وممن يحدثون أنفسهم بالحق فى الخلافة كثيرون جدا مثل الحسن بن على وعبدالله بن عمر فخاف أن فتح باب الشورى أن يؤدى ذلك إلى صراع بين المسلمين ليس فى صالحهم.

ورأى معاوية أن يزيد به المزايا التى كانت فى شباب قريش فى ذلك الوقت وأهمها القوة العسكرية التى تؤهله لتولى الخلافة وإن كان هناك من سيقارن بينه وبين أبى بكر وعمر فقيل أن أحد لم يبلغ ولن يبلغ المكانة التى بلغها أبو بكر وعمر مهما أتيح له ومهما بلغ من الأستقامة فى السيرة وأن يزيد قد شهد له الكثيرون بالعدالة والعلم والفقه ويذكر البعض أن يزيد كان يشرب الخمر ولكنه لم يشهد عليه شاهدان بذلك وأن معاوية كان يثق فى قدرات أبنه الطيبة واستعداده للحكم والقيادة بدليل أن أباه اختاره لتولى قيادة الجيش الإسلامى الذى توجه لفتح القسطنطينية وأظهر فيها ضروب الشجاعة والبسالة وقتذاك

ويذهب بعض المؤرخين إلى القول أن المغيرة بن شعبة هو الذى حسن لمعاوية فكرة أخذ البيعة لأبنه يزيد بعده فمال إليها فقيل أنه دخل على يزيد وفاتحه فى وجوب عقد البيعة له فأخبر يزيد أباه بذلك فاستدعى معاوية المغيرة وسأله عما يقوله يزيد: فقال: ياأمير المؤمنين قد رأيت ماكان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان وفى يزيد منك خلف فاعقد له فإن حدث بك حادث كان خلفا منك فلاتسفك دماء ولاتكون فتنة ثم أمره معاوية بأن يرجع إلى ولايته ويتحدث مع من يثق به فى ذلك

ولا شك أن ماروواه المؤرخون من أن المغيرة هو الذى أشار على معاوية بأخذ البيعة ليزيد لا يعد دليلا على أن معاوية لم يفكر فى هذا الأمر قبل ذلك فقد كان يحرص على نقل نظام الملك وإلى الدولة العربية وكان يؤثر المصلحة السياسية على الاعتبارات الأدبية والدينية حتى قيل عنه أنه أول الملوك.

وقد سار معاوية فى تنفيذ سياسته التى تنطوى على نقل الحكم من بعده إلى إبنه يزيد بمنتهى الحيطة والمهارة. وكان مطمئنا إلى تأييد أهل الشام لهذه السياسة ولم يخش إلا معارضة أهل العراق والحجاز وقد أوصى ولاته على الأمصار الإسلامية أن يمهدوا لنشر فكرة مبايعة يزيد بولاية العهد .

ولم يأل معاوية جهدا فى سبيل تنفيذ فكرة استخلاف يزيد بعده، وقد قدمت إليه وفود من البصرة والكوفة سنة ٦٠هـ وأعلنت البيعة ليزيد بولاية العهد على أن أهل الحجاز الذين لم يألفوا نظام وراثة الحكم الذى ساد في بلاد الفرس والروم والذين كانت بلادهم تضم زعماء العرب والإسلام والمؤهلين لتولى الخلافة مثل الحسين بن على وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزبير، ولهؤلاء مكانة عظيمة، وإذا ما أصبح الأمر شورى لوقع الاختيار على أحدهم ليكون خليفة ولذلك عارضوا هذه الفكرة فامتنعوا عن مبايعة يزيد وظلوا على هذه الحال حتى توفى معاوية.

وقد توفى معاوية سنة ٦٠هـ ودفن بدمشق وكان معاوية يعتبر من عظماء الرجال ومؤسسي الدول ونجح فى إقامة دولة استمرت من بعده أثنتان وسبعين عاما وقد وصفه بعض المؤرخين بقولهم: أنه كان ملكا قويا وكان كريما باذلا للمال محباً للرياسة مشغوفا بها وأنه استطاع أن يسوس الأمة العربية سياسة تدل على الحكمة وحسن التدبير وبذلك أصبح كما ذكر المؤرخون خليفة العالم وخضع له من أبناء المهاجرين والأنصار كل من يعتقد أنه أولى بالخلافة.

يزيد بن معاوية ٦٠ ـ ٦٣هـ:

ولد سنة ٢٦هـ وأمه ميسون بنت بجدل الكلبية وهى امرأة بدوية تزوجها معاوية قبل أن يلى الخلافة غير أنها لم تحتمل المعيشة فى دمشق فردها إلى أهلها فنشأ يزيد فى البادية وكان فصيحا كريما وشاعراً بليغًا ولما مات معاوية بايعه أهل الشام بالخلافة وبعث يزيد إلى أهل المدينة من يأخذ له البيعة من الحسين بن على وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وعبدالله بن العباس فبايعه إبن عمر وابن العباس، أما ابن الزبير فأبى المبايعة وذهب إلى مكة وأخذ يعمل على بث الدعوة لنفسه ولكنه وجد الحسين بن على أولى بالأمر منه فعمل على تحريضه مظهرا مناصرته له.

أما الحسين بن على فقد رفض بيعة يزيد وخرج من المدينة قاصدا مكة ولما وصل أهل الكوفة خبر رفضه لبيعة يزيد وكانوا يكرهون بنى أمية كتبوا إليه الكتب يدعونه إلي القدوم إليهم ويعدونه بالنصرة على بنى أمية فأرسل بابن عمه مسلم بن

عقيل إلي الكوفة ليستطلع له حقيقة الأمر، ولما وصل مسلم إلي الكوفة وذاع أمره بايعه من أهل الكوفة عدد غير قليل فكتب بالخبر إلي الحسين وسأله القدوم إليه ،ولما إطمأن الحسين إلى مبايعة أهل الكوفة له على حرب يزيد خرج عقب موسم الحج يريد الكوفة وكان عبد الله ابن عباس قد نهاه عن الخروج إلى الكوفة وأعلمه أن أهل العراق قد يخذلوه كما خذلوا أباه من قبل لكن الحسين لم يستمع واتجه إلى الكوفة سنة ٦١هـ وكتب يزيد إلى والى الكوفة عبيد الله بن زياد بالتصدي للحسين وأثناء مسير الحسين إلي الكوفة أتاه خبر قتل ابن عقيل (مسلم بن عقيل) ابن عم الحسين وكان مناصرا له فى دعوته فنصحه أصحابه بالعودة والتوقف عن المسير ولكن صمم الحسين على الاستمرار بالرغم من علمه بمقتل ابن عقيل وتفرق أكثر الناس عنه فيما عدا بعض المخلصين من اتباعه وأبناءه وأقرباؤه ولم يكن مجموعهم يزيد عن المائة والتقوا بجيش ابن زياد المؤلف من أربعة آلاف رجل عند كربلاء شمالى غربى الكوفة يوم العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ حيث دارت معركة غير متكافئة انتهت بمقتل الحسين بن على ومعظم من كانوا معه وحملت رؤسهم إلي ابن زياد ، وذكر بعض المؤرخين أن عدد من قتل مع الحسين كان نحو سبعة وثمانين، منهم ابنه علي بن الحسين .

كانت واقعة كربلاء سيئة الأثر على المسلمين، فقد اعتبر الحسين بن على شهيدا هذا فى الوقت الذى وصف فيه البعض يزيد بن معاوية بأنه سفاكا ، بينما يرى آخرون أن يزيد لم يأمر بقتل الحسين وإنما أمر رجاله بأن يحيطوا به ولايقاتلوه إلا إذا

قاتل، لكن الحسين صمم على القتال، ولاشك أنه كان ممكنا عدم قتل الحسين والاكتفاء بمحاصرته مع جماعته حتى يهدأ ليحفظ بذلك دم الحسين ودم آل بيت الرسول ويعتبر قتل الحسين نقطة سوداء فى تاريخ يزيد الذى حزن حزناً شديداً حين حمل له رأس الحسين وقيل أنه لعن قاتليه وأحسن إلى أسرة الحسين بعد مقتله وقد ذكرت السيدة زينب ووصفت حالة الحزن والألم التى كان فيها يزيد لما حدث للحسين ولآل البيت.

هذا وقد انتجت واقعة كربلاء ضروبا من الشقاق والجدال بين المسلمين كما خلفت فى العراق وغيرها شعورا عدائيا ضد بنى أمية . وعلى ذلك فقد أذكت موقعة كربلاء فى نفوس العلويين ذلك الحماس الذى استغله أحفاد العباس فيما بعد لمصلحتهم الشخصية وتقويض دعائم الدولة الامويه ددنت ادت هذه الواقعة إلى تطور التشيع وتفاقم سخط سائر المسلمين وحنقهم على بنى أمية وولاتهم. وقد كان التشيع قبل مقتل الحسين رأيا سياسيا نظريا فلما قتل أصبح عقيدة راسخة فى نفوس الشيعة هذ وقد علق أحد المؤرخين على هذه الموقعة وماكان لها فى نفوس الشيعة خاصة والمسلمين عامة بقوله "لقد ألقت مذبحة كربلاء الفزع والهلع فى جميع البلاد الإسلامية كما أذكت فى نفوس أهل بلاد الفرس ذلك الحماس الوطنى الذى ساعد بنى العباس على تقويض عرش الأمويين وإسقاط دولتهم.

يزيد وأهل المدينة : ولم تنته مصائب يزيد عند حد كارثة كربلاء التى قتل فيها الحسين بن علي سنة ٦١هـ فقد كان على يزيد أن يواجه موقف أهل الحجاز العدائي من خلافته الذين ثاروا بالمدينة وأعلنوا خلعه وطردوا عامله فبعث إليهم يزيد مسلم بن عقبة المرى وكان من جبابرة العرب ودهاتهم وأمره بالتوجه إلى أهل المدينة لإخضاعهم ثم التوجه إلى مكة لمقاتلة عبد الله بن الزبير والذى أعلن ثورته هناك على يزيد بعد مقتل الحسين وأخذ البيعة من أصحابه بمكة وطالب بالخلافة، فوصل جيش يزيد المدينة ووقعت معركة هناك بين قواته وقوات الثائرين فى موضع قربى المدينة يعرف بالحرة وقد هزم فيها أهل المدينة فى أواخر ذى الحجة سنة٦٣هـ وقتل فى المعركة كثير من أشراف الأنصار وخلق كثير من بني هاشم وسائر قريش وغيرهم من سائر الناس ولم يكتف مسلم بن عقبة بما أحرزه من نصر بل دعا الناس فى اليوم الثالي لواقعة الحرة إلى البيعة وأرغم كبار أهل المدينة على مبايعة يزيد فى قباء، بل هدد كل من لم يجب دعوته بالقتل.

ولما فرغ مسلم بن عقبة من أمر المدينة وأخذ البيعة من أهلها ليزيد أراد الخروج إلى مكة لمحاربة عبد الله بن الزبير وكان إذ ذاك محتميا بالكعبة وسمى نفسه العائذ بالبيت غير أن مسلم بن عقبة مالبث أن توفى فى الطريق وتولى مكانه الحصين بن نمير السكونى الذى سار على رأس الجيش الأموى قاصدا مكة. فوصلها فى المحرم

سنة ٦٤هـ وكان أهل مكة قد بايعوا ابن الزبير والتفوا حوله كما لحق به كثير من أهل المدينة وأثناء حصار الجيش الأموى لمكة جاءت الأخبار بوفاة يزيد فدعا ابن الزبير الناس لبيعته إلا أن أهل الشام لم يعترفوا به وبايعوا بعد يزيد بالخلافة إبنه معاوية وهو معاوية الثانى سنة ٦٣هـ وكان صَبيا ضعيفا لم يزد حكمه على أربعين يوما وقد اختلف فى أسباب وفاته فقيل أنه سقى شربه ومنهم من قال أنه طعن وكان قد فكر فى ترشيح رجل للخلافة فلم يجد الرجل الذى يصلح لها فرأى أن يقتدى بعمر بن الخطاب فى اختيار ستة ينتخب الخليفة من بينهم فلم يفلح فترك الأمر شورى للناس وقال لهم «أنتم أولى بأمركم فاختاروا من أحببتم».

مروان بن الحكم (٦٤ - ٦٥هـ) :

هو مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ويكنى أبا عبد الملك اختلف الناس بعد وفاة معاوية الثانى حول من يتولى الخلافة فمال فريق إلى بنى أمية ومنهم من مال إلى خالدبن يزيد بن معاوية ومال فريق آخر إلى مروان بن الحكم بن العاص بن أمية لسنه وشيخوخته بينما كان هناك فريق آخر يميل إلى عبد الله بن الزبير من ذلك نرى أن النزاع قد احتدم بين عرب الشام بسبب المنافسة بين أفراد البيت الأموى إذ أصبح كل منهم يطمح إلى الخلافة ويرى نفسه أحق بها. واستمر النزاع بين أنصار بنى أمية حتى عقدوا مؤتمر الجابية الذى بايعوا فيه

مروان بن الحكم بالخلافة فى ذى القعدة سنة٦٤هـ ثم خالد بن يزيد بن معاوية ثم عمرو بن سعيد بن العاص من بعده وانتقلت بذلك الخلافة من الفرع السفيانى إلى الفرع المروانى.

وقد اجتمعت قيس بزعامة الضحاك بن قيس الفهرى وبايعت عبد الله بن الزبير الذى كان قد دعا لنفسه بالخلافة فانحصرت الخلافة بذلك بينه وبين مروان فسار مروان إلى الضحاك وهزمه فى موقعة مرج راهط المحرم سنة ٦٥هـ وقد وأذكت هذه الموقعة نار العصبية بين اليمنية والمضرية ليس فى الشام وحدها وإنما فى سائر الولايات الإسلامية وخاصة خراسان.

وتابع مروان بن الحكم نشاطه بعد هذه الموقعة فجهز جيشا إلى مصر لاستخلاصها من عامل عبدالله بن الزبير، كما أعد جيشين سير أحدهما إلى الحجاز حيث دعا عبدالله بن الزبير إلى نفسه بالخلافة، والآخر إلى العراق.

وقد توفى مروان سنة٦٥هـ وكان الأمويون قد اتفقوا فى مؤتمر الجابية على مبايعة مروان بن الحكم على أن يخلفه خالد بن يزيد ثم سعيد بن العاص غير أن مروان نقض ذلك العهد وعهد بالخلافة لابنيه عبدالملك ثم عبد العزيز.

وكان مروان كثير التلاوة للقرآن كما كان شجاعاً وقد روى الحديث عن كثير من الصحابة وإليه يرجع الفضل فى ضبط المقاييس والموازين حتى لايقع الغش فى البيع والشراء.

عبدالملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦هـ):

قبل أن يتوفى الخليفة مروان بن الحكم والذى حكم من سنة (٦٤ - ٦٥هـ) وينتسب إلى الفرع المروانى من بنى أمية كان قد عهد بالخلافة من بعده لإبنيه عبد الملك بن مروان ثم عبد العزيز بن مروان.

وعلى هذا تولى عبد الملك بن مروان الخلافة بعد وفاة أبيه مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان عبد الملك قد ولد بالمدينة سنة ٢٦هـ وقد نشأ نشأة كريمة وعرف بالشجاعة والنجدة وكان فصيحا بليغا ، وقد حفظ الكتاب الكريم وقرأ العلوم الدينية من الفقة والتفسير والحديث.

الدولة الأموية فى عهد عبدالملك:

كادت الأمة العربية عند وفاة مروان بن الحكم تمزقها العصبية القبلية المتمثلة فى الصراع بين القحطانية (العرب اليمانية) والعرب القيسية (المضرية) تلك العصبية التى كانت قائمة قبل الإسلام، كما كانت بعض الأمصار يسودها الفتن، وفى الحجاز كان عبد الله بن الزبير قد أعلن خلافته به بل كان يسعى إلى ضم مصر إليه.

وقد استطاع عبد الملك بن مروان الذى يعتبره بعض المؤرخين المؤسس الثانى للدولة الأموية لما امتاز به من رجاحة العقل والقدرة على تصريف الأمور أن ينقذ الدولة فاستقامت له الأمور وهدأت الأحوال وساد السلام فى الفترة الأخيرة من عهده وعهد من جاء بعده من أولاده

بدأ عبد الملك يعمل على مواجهة الأمور الصعبة فى الدولة فرسم لنفسه خطة للعمل بدأها بالقضاء على أنصار ابن الزبير فى مصر مستعينا فى ذلك بكفاءة أخيه عبدالعزيز بن مروان الذى نجح بحسن سياسته فى إصلاح الأمور فيها فانتشر السلام واستتب الأمن وأصبحت مصر دعامة لعبد الملك فى صراعه ضد أعدائه فى الأمصار الأخرى.

وتوجه عبدالملك نحو العراق وكان قد دخل فى طاعة ابن الزبير وعين عليه أخاه مصعب بن الزبير نيابة عنه وقد استطاع عبد الملك أن يستميل كثيرا من اتباع ابن الزبير إليه ثم سار على رأس جيش لمقاتلته وذلك سنة ٧١هـ وانتهي القتال بهزيمة جيش ابن الزبير ودخول عبد الملك الكوفة ومبايعة أهل العراق له.

لم يعد أمام عبد الملك سوى الحجاز واليمامة ولقد اختار عبد الملك للقضاء على ثورة عبدالله بن الزبير بالحجاز قائدا من أعظم قواد الدولة الأموية ومن أعظم رجال قبيلة ثقيف الموالية للأمويين وهو الحجاج بن يوسف الثقفى الذى كان القائد

المطلوب لإنقاذ الدولة الأموية وتوجه سنة ٧٢هـ على رأس جيش لقتال ابن الزبير فى مكة ولقد أعطى عبد الملك للحجاج أمانا إلى ابن الزبير إذا هو ترك الخروج وامتثل لطاعة الأمويين كما أمره إلا يبدأ بالهجوم على مكة إلا بعد أن يعطيه الإذن بذلك، فسار الحجاج إلى الحجاز ونزل الطائف مقر قبيلة ثقيف واتخذها معسكرا له يدير منه أمر الهجوم على ابن الزبير الذي اتخذ مكة مركزا له وقد استطاع الحجاج أن يحصر ابن الزبير في مكة ويمنع عن مكة المدد الذى كان يأتيها من الطائف كما راسل الحجاج أهل مكة واستطاع أن يستميل إلى جانبه الكثير من اتباع ابن الزبير وقد أضعف ذلك موقفه وعجل بهزيمته.

وبعد أن أدرك الحجاج أن الانتصار أصبح مهيئا أرسل إلى الخليفة عبدالملك ليستأذنه في اقتحام مكة فأذن الخليفة له بعد أن أرسل له مددا من خمسة آلاف رجل فقام ذلك الجيش إلى الحجاج في ذي الحجة سنة ٧٢هـ وانضم إلي الحجاج فى مجاصره ابن الزبير في مكة وقد تم اقتحام مكة دون قتال شديد وانتهى القتال السريع بقتل عبد الله بن الزبير في جمادي الأولي سنة ٧٣ هـ وأعوانه ومبايعة أهل مكة للخلافة الأموية.

وعبد الله بن الزبير هو أبن الزبير بن العوام أحد قواد الرسول وأحد العشرة المبشرين بالجنة وأمه هى أسماء بنت أبى بكر ذات النطاقين وقد أوردت المصادر الحوار الذى دار بين عبدالله وأمه أسماء قبل مقتله وظهر فيه شجاعة الأبن وصبر

وشجاعة الأم التى جثته على القتال والثبات مما شجعه على الاستمرار فى المواجهة والإصرار على الاستشهاد.

وقد شهد القادة الأمويون لابن الزبير بالشجاعة فى القتال رغم خروجه عن طاعة الخليفة الأموى. هذا وقد كافأ عبد الملك الحجاج لنصره فولاه سنة٧٣هـ مكة واليمن واليمامة وفى السنة التالية أضاف إليه ولاية المدينة وبالقضاء على ثورة ابن الزبير استقر الحكم لعبد الملك بن مروان فى كل أرجاء الدولة وفى سنة ٧٥هـ ولى عبد الملك قائده الحجاج العراق وكل البلاد التى تليها شرقا من بلاد فارس وبلاد ماوراد النهر وقام الحجاج بضبط هذه البلاد بشدته المعهودة وقيادته الحازمة.

اشتهر الحجاج بقسوته وشدته بعد أن ولاه عبد الملك العراق سنة ٧٥هـ سار إلى الكوفة فدخلها وصعد المنبر وخطب خطبته المشهوره فى التاريخ وكلها تشير إلى قسوته واستهتاره بأهل العراق وتوعده لهم لما كان من خروجهم على بنى أمية ومما جاء فى الخطبة «ياأهل الكوفة إنى لأرى رؤسا قد أينعت وحان قطافها، وإنى لصاحبها وكأنى أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى ومن هذه الخطبة تظهر السياسة التى رسمها الحجاج للسير عليها مع أهل العراق وهى سياسة حزم ممزوج بالظلم والجبروت.

ولما فرغ الحجاج من أهل الكوفة سار إلى البصرة وخطب الناس فيها خطبة لاتختلف فى معناها ومرماها عن خطبته فى الكوفة.

الحجاج والخوارج :

قويت شوكة الخوارج منذ قيام الدولة الأموية، وقد واجه معاوية بن أبي سفيان معارضة شديدة منهم واستمرت مناهضتهم للأمويين ، وظهرت منهم فرق عديدة كان منها الأزارقة أتباع نافع بن الأزرق وقد تصدى الحجاج للثورات التى قام بها جماعة الخوارج الأزارقة فى العراق وقضى عليها مستعينا فى ذلك بقائده الشجاع المهلب بن أبي صفرة وأبنائه وكانت أخطر هذه الثورات التى قام بها الخوارج الأزراقة الثورة التى قادها عبد الرحمن بن الأشعث وقد وقعت بين الحجاج والخوارج أكثر من ثمانين معركة كان أكبرها معركة دير الجماجم التى انتصر فيها الحجاج على الأشعث الذى هرب إلى الهند حتى نجح الحجاج فى القبض عليه وقتله.

ولقد أسند الحجاج ولاية خراسان من بلاد فارس إلى المهلب بن أبى صفرة نيابه عنه فقام بكثير من الفتوح فى هذه البلاد فذكر المؤرخون أنه فتح خجندة وغزا كش سنة ٨٠هـ واتخذها مركز لقيادته وأرسل منها أولاده لغزو كثير من البلاد ثم تولى بعد ذلك القائد العربى قتيبة بن مسلم وهو أعظم الفاتحين

وزادت الفتوح على يديه فى عهد خلافة الوليد بن الملك. وفى سنة ٨٣هـ بنى الحجاج مدينة واسط العراقية.

عبد الملك بن مروان وولاية العهد:

فى عام ٨٥هـ أراد عبد الملك بن مروان أن يخلع أخاه عبد العزيز بن مروان من ولاية العهد وأن يجعلها لأبنه الوليد ولكن عبد العزيز توفى بمصر فى نفس العام فبايع عبد الملك بالخلافة من بعده لأبنه الوليد ثم من بعده لأبنه سليمان وجعلهما وليا عهد المسلمين وكتب ببيعته لهما إلى البلدان فبايع الناس.

عبد الملك بن مروان والنظام الإدارى والمالى:

ومن أهم أعمال عبد الملك بن مروان تعريب الدواوين فصار يكتب فيها بالعربية بعد أن كان كل مصر من الأمصار يكتب باللغة التى كان يكتب بها قبل الإسلام فكان ديوان الخراج (المالية) يكتب بالفارسية والرومانيه إلى عهد عبدالملك بن مروان فنقل عبد الملك ديوان فارس والشام إلى العربية ونقل ابنه الوليد ديوان مصر إلى العربية فقيل لهذا أن عبد الملك وضع أساس النظام الإدارى والسياسى للولايات الإسلامية فى العهد الأموى وأنه صبغ الإدارة والمالية بالصبغة العربية مما أدى إلى سرعة تعريب الأمصار الإسلامية وانتشار اللغة العربية.

وكان إصلاح العملة وتعريبها من أهم الأعمال التى قام بها عبد الملك وهى

تدل على حسن سياسته وبعد نظره إذ لم يكن فى الدولة العربية عملة مقررة إلى ذلك الحين بل كان المسلمون يتعاملون بعملة الروم « الدنانير الذهبية » وبعملة الفرس الدراهم الفضية ويرجع السبب فى ذلك إلى أنه كتب في أحد الصحف المرسلة إلى ملك الروم عبارة (قل هو الله أحد مع ذكر النبى فغضب لذلك ملك الروم وأرسل يعاتب عبد الملك فقرر عبد الملك ضرب عملة إسلامية سنة ٧٥هـ وأمر بسحب العملات القديمة فى جميع أنحاء الدولة.

الوليد بن عبدالملك « ٨٦ ـ ٩٦هـ »:

لما مات عبد الملك بن مروان سنة ٨٦هـ خلفه ابنه الوليد وظل فى الخلافة عشر سنين وكان عهده عهد فتح ويسر ورخاء فاتسعت فى أيامه رقعة الدولة الأموية شرقا وغربا كما خفف الأعباء على الناس بعطفه على الفقراء واهتمامه بأحوال رعيته وسهره على مصالحهم. واهتم الوليد بالبناء والعمارة ففى سنة ٨٧هـ ابتدأ الوليد ببناء المسجد الجامع بدمشق وبناء مسجد الرسول صلى بالمدينة. وأنفق عليهما أموالا طائلة.

وقد تمكن الوليد بفضل السلام والأمن الذى انتشر فى البلاد من إعادة عهد الفتوح الذى بدأ فى عهد من سبقه من الخلفاء فأتسعت رقعة الدولة واشتهر فى عهد الوليد ثلاثة من القواد كان لهم أثر عظيم فى هذه الفتوح هم قتيبة بن مسلم الباهلى، ومحمد بن القاسم بن محمد الثقفى وموسى بن نصير.

أما قتيبة بن مسلم فقد تمكن من فتح بيكند وبخاري وفى سنة ٩٣هـ فتح قتيبة
من خوارزم صلحا ثم فتح سمرقند وبفتح سمرقند وطد قتيبة مركزه فى بلاد
ماوراء النهر وكان من أثر فتح بلاد ماوراء النهر أن دخل الإسلام فيها وفى عهد
الوليد تم فتح بلاد السند وكان المسلمون قد وجهوا سياستهم إلى فتح بلاد الهند بعد
وفاة الرسول ﷺ وواصلوا جهودهم لفتح هذه البلاد حتى جاء الوليد بن عبد الملك
فعهد الحجاج بن يوسف الثقفى إلى محمد بن القاسم بغزو بلاد الهند فسار إليها
سنة ٨٩هـ وحاصر ثغر الديبل وفتحه عنوة وبنى به مسجدا وواصل محمد بن
القاسم فتوحاته فى هذه البلاد حتى بلغ نهر السند وهناك التقى بداهر ملك السند
فوقعت بينهما معركة كبيرة انتهت بهزيمة هذا الملك وقتله وقد واصل محمد بن
القاسم فتوحاته حتى وصل إلى الملتان ودخلها.

وفى عهد الوليد إسندت ولاية أفريقية إلى موسى بن نصير فخرج من مصر
على رأس جيش قاصدا إفريقية فلما بلغها ضم إليه جيشا آخر بقيادة طارق بن زياد
وأخذ موسى يقاتل البربر ويبسط نفوذ الأمويين وينشر الإسلام فى أرجاء بلاد
المغرب حتى بلغ طنجة فحاصرها حتى فتحت وأسلم أهلها وقلد طارق ولايتها
.وبهذا تمكن موسى من فتح بلاد المغرب ، وكذلك أتم موسى وطارق بن زياد فتح
أسبانيا والبرتغال فيما عرف ببلاد الأندلس واجتاز المسلمون جبال البرانس وواصلوا
الفتح فى جنوب فرنسا.

وكان الوليد قد شرع فى إرسال حملة للاستيلاء على القسطنطينية حاضرة الدولة الرومانية الشرقية غير أن الموت عاجله سنة ٩٦هـ بعد أن اتسعت رقعة الدولة فى عهده فى الشرق والغرب وقد استمر فى الخلافة نحو عشر سنين.

سليمان بن عبدالملك « ٩٦ - ٩٩هـ »:

أراد الوليد بن عبد الملك أن يجعل أبنه عبد العزيز ولى عهده، فبايعه على خلع أخيه سليمان بن عبد الملك الحجاج بن يوسف وقتيبة بن مسلم لكن الوليد مات فجأة فبايع الناس سليمان قبل أن يمكن الوليد لأبنه، وقد تولى سليمان الخلافة سنة ٩٦هـ .

وقد استمر سليمان بن عبد الملك فى سياسة الجهاد والفتوح ولكنه تخلص من الكثير من قواد الدولة من أسرة الحجاج بن يوسف وكان سليمان يبغض الحجاج بن يوسف الثقفى وأهله وولاته، وذلك لما كان من استجابة الحجاج للوليد فيما اعتزمه من عزل أخيه سليمان ومبايعة أبنه عبد العزيز مكانه لكن الحجاج توفى قبيل وفاة الوليد سنة ٩٥هـ، فلما تولى سليمان الخلافة عمل على الانتقام من أسرة الحجاج وقواده فقام بخلع قتيبة بن مسلم عن ولاية خراسان فقام قتيبة بدوره بخلع الخليفة وطلب من رجال جيشه من القبائل أن يوافقوه على ذلك ولكنهم رفضوا خلع سليمان فقام بشتمهم فأجمعوا على خلافة وخلعه - ثم قتل قتيبة سنة ٩٦هـ وأحل سليمان على ولاية خراسان يزيد بن المهلب.

كذلك أمر سليمان بالقبض على محمد ابن القاسم بن اخت الحجاج، وأمر بتقييده وحمله إلى العراق، وما أن وصل العراق حتى حبس فى مدينة واسط وعذب، ثم قتل فى السجن. وبذلك انتهت حياة هذا القائد العظيم فاتح بلاد السند وشمال الهند هذه النهاية المؤلمة.

أما موسى بن نصير فاتح المغرب والأندلس فقد حقد عليه سليمان لأنه سارع بتسليم غنائم الأندلس الثمينة للوليد وهو على فراش الموت ولم ينتظر ليتسلمها سليمان مع تسلمه الخلافة ولهذا قام سليمان بمعاقبة موسى بن نصير وحبسه.

وفى عهد سليمان تم فتح بلاد جرجان وطبرستان (جنوبى بحر قزوين) وقد شرع سليمان فى فتح القسطنطينية فوجه أخاه مسلمة بن عبد الملك لفتحها وما أن اقترب جيش مسلمة من عاصمة الروم إلا جاء الخبر بوفاة سليمان فى صفر سنة ٩٩هـ وكان سليمان قد أوصى بأن يخلفه فى الحكم ابن عمه عمر بن عبد العزيز.

عمر بن عبد العزيز بن مروان (٩٩ - ١٠١هـ):

لما مرض سليمان بن عبد الملك مرض الموت عزم على أن يبايع من بعده بالخلافة لأحد من أولاده ولكن رجاء بن حيوه وكان من كبار المقربين إليه بنصحه بأن يستخلف على الناس رجلا صالحا ثم استشاره فى عمر بن عبد العزيز فأثنى عليه خيرا فكتب سليمان عهده إلى عمر بن عبد العزيز وختمه ودعا أهل بيته وقال بايعوا

لمن قد عهدت إليه في هذا الكتاب ولم يعلمهم بما فيه فبايعوا ، ثم لما مات جمعهم ابن حيّوه وكتم موت سليمان عنهم وقال لهم بايعوا مرة أخرى فبايعوا فلما رأى أنه أحكم الأمر أعلمهم بموت سليمان وقام بفتح كتاب سليمان فإذا فيه العهد لعمر بن عبد العزيز فتغيرت وجوه بنى عبد الملك فلما سمعوا وبعده يزيد بن عبد الملك تراجعوا فأتوا عمر فسلموا عليه بالخلافة.

ولقد ولد عمر بن عبدالعزيز بمنطقة حلوان بمصر أيام إمارة والده عليها وأمه أم عاصم بنت عمر بن الخطاب فجده لأمه هو عمر بن الخطاب ونشأ عمر بن عبد العزيز نشأة صالحة وقد تشبه فى خلافته بعمر بن الخطاب حتى اشتهر فى التاريخ بالخليفة الخامس لما اشتهر به من صلاح وتقوى وقد تزوج عمر بن عبد العزيز من فاطمة إبنة عبدالملك بن مروان.

وقد شعر عمر بعد توليه بالخلافة بالمسئولية تجاه الرعية فترك عيشة الرفاهية التي كان يعيشها قبل أن يتولى الخلافة وعاش عيشة أفقر فقراء دولته كما حرص علي توفير العدل والإصلاح ومراقبة الله فى كل الأعمال وأدخل عمر الكثير من الإصلاحات فى الدولة وخفض الضرائب عن الناس ورفع الجزية عمن أسلم كما شرع الإسلام وكان بعض حكام بنى أمية لم يسقطوا الجزية عمن أسلم من أهل الذمة بحجة حاجة الدولة إلى المال وما أن تولى عمر بن عبد العزيز حتى أسقط

الجزية عمن أسلم كما قام بعزل الولاة والعمال الذين ظلموا الناس ولم يطبقوا العدالة فى حكمهم وأحل مكانهم ولاة تميزوا بالتقوى والصلاح.

وكانت سياسة عمر تتسم بالمسالمة مع معارضيه وكان يرى أنها كفيلة بحل المشكلات وتوحيد الكلمة وتجلى ذلك فى موقفه مع الخوارج ومع الشيعة فإن الخوارج لما خرجوا فى عهده لم يشأ أن يسلك معهم سبيل العنف والشدة كما فعل عمه عبد الملك بن مروان من قبل، بل إن أخلاقه الكريمة وحبه للسلم قد أبت عليه إلا أن يقارعهم بالحجة، وكذلك قطع عمر السب من على المنابر لعلى بن أبى طالب وكان بنو أمية يسبونه على المنابر وقد أحسن عمر بن عبد العزيز إلى العلويين وقربهم إليه وأكرمهم.

وقد تقشف عمر بن العزيز فى خلافته زهدا فى الدنيا وتقربا إلى الله، على الرغم من الحياة التى عاشها قبل تولية الخلافة والتى كانت تتميز بالافراط فى التنعم ولهذا كان عهد عمر بن عبد العزيز من أحسن عهود خلفاء بنى أمية حتى اعتبره البعض متمما لعهد الخلفاء الراشدين وقد توفى سنة ١٠١ وكانت وفاته بالسم الذى دسه له آل بيته من بنى أمية الذين ضاقوا بعدله وشدته وقد فقدت الدولة الأموية بموته أعظم خلفائها وأعدلهم وأحسنهم سيرة ولذلك فقد نبشت كثير من قبور الخلفاء الأمويين بعد قيام الخلافة العباسية إلا قبر عمر بن العزيز الذى ظل معظمًا ويغشاه كثير من الناس كما ذكر المؤرخون.

يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥هـ):

ولى يزيد بن عبد الملك بن مروان الخلافة فى شهر رجب ١٠١هـ وفى أيام يزيد خرج يزيد بن المهلب بن أبى صفرة وكان قد فر من سجن عمر بن عبدالعزيز فسار إلى البصرة وأسر واليها ثم واصل السير إلى الكوفة فانضم إليه الأزد كما انحاز إليه أهله وخاصته فعظم أمره واشتدت شوكته فبعث إليه يزيد أخاه مسلمة فى جيش عظيم ولما التقى الجيشان ولى أصحاب يزيد عنه فقتل فى المعركة.

وقد اشتهر يزيد بن عبدالملك باللهو والخلاعة وقيل إنه شغف بجاريتين إحداهما تسمى سلامة والأخرى حبابه وقيل أنه لما اعتلت حبابة أقام يزيد أياما لايظهر للناس فلما ماتت مكث معها أياما لا يدفنها جزعا عليها حتى تحدث الناس فى ذلك فدفنها ثم أقام بعدها أياما قليلة ومات وكان بين يزيد وأخيه هشام جفوة لما كان من سوء سيرة يزيد حتى قيل فى ذلك أن هشاما كان يعيب عليه لهوه ويتمنى موته. هذا وقد توفى يزيد بن عبدالملك بالبلقاء بدمشق سنة١٠٥هـ وكانت ولايته أربع سنين وشهرا ويومين.

هشام بن عبدالملك (١٠٥ - ١٢٥هـ):

بويع هشام بن عبدالملك فى اليوم الذى توفى فيه أخوه يزيد بن عبد الملك وكان هشام فظًا غليظًا وقد فرض ضريبة خراجية جديدة علي الموالى فسار الحارث

بن سريج وحارب الأمويين وسرعان ما استولى على المدن الواقعة على ضفاف نهر سيحون حتى استطاع أسد بن عبد الله القسرى أن يسترد البلاد التى استولي عليها الحارث من الأمويين واضطره إلى الانسحاب إلى طخارستان ومنها إلى بلاد ماوراء النهر وفى سنة ١٢٠هـ ولى هشام بن عبد الملك نصر بن سيار خراسان واستطاع أن يوطد دعائهم الحكم الأموى فى بلاد ماوراء النهر سنة ١٢٣هـ.

وفى عهد هشام خرج زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على وكان يرى أنه أهل للخلافة وكان قد شاور أخاه أبا جعفر بن على الذى أشار عليه بأن لايركن إلى أهل الكوفة فهم أهل غدر ومكر ولكن زيد صمم على المطالبة بالحق وقد ظهرت بوادر ثورته حين بعثه هشام إلى يوسف بن عمر أمير الكوفة فسأله هذا الوالى عن المال الذى زعم خالد بن عبدالله القسرى أنه أودعه لديه فحلف له أنه ليس عنده مال لخالد ولما هم زيد بالخروج إلى المدينة لحق به فى الطريق كثير من أهل الكوفة ودعوه للعودة إلى بلدهم ومازالوا يناشدونه حتى استجاب لرآيهم وأقام فى منازل شتي بالكوفة كما أرسل إلى أهل السواد والموصل رجالا يدعون إليه وانتشرت دعوته فى المدائن والبصرة وواسط وخراسان والرى وجرجان والجزيزة وقد انتهت الحرب التى قامت بينه وبين يوسف بن عمر الثقفى بالهزيمة إذ تخاذل أصحاب زيد عنه ولم يستجب لدعوته في النهاية سوى مائتين وثمانية عشر رجلا نقاتل أشد قتال ولكنه منى أخيرا بالهزيمة وقتل.

هذا وقد اشتهر هشام بإصلاحاته العمرانية فاهتم بتعمير الأرض وتقوية الثغور وحفر القنوات والبرك بطريق مكة وفى أيامه ظهرت صناعة الخز والقطيفة، وقد توفى هشام بن عبد الملك بالرصافة سنة ١٢٥هـ وكان عمره ثلاث وخمسين سنة .

وتولى الخلافة بعد هشام ثلاثة من خلفاء بنى أمية لم تزد فترة حكمهم عن سنتين وهم الوليد بن يزيد بن عبدالملك الذى بويع فى اليوم الذى توفى فيه عمه هشام وقد اشتهر باللهو والخلاعة وانتهى الأمر بقتله ثم ولى يزيد بن الوليد بن عبد الملك سنة ١٢٦هـ ووسمى «الناقص» لأنه نقص أرزاق بعض الجند وكان يميل إلى مذهب المعتزلة ولم يستمر فى الخلافة طويلا ويقال أنه مات بمرض الطاعون ولما مات بويع أخيه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك سنة ١٢٦هـ واستمر فى الخلافة سبعين يوما وقيل أنه عهد إليه بالخلافة وقال آخرون أنه لم يعهد إليه ولم يلبث مروان بن محمد أن سار إليه وخلعه فخرج إبراهيم بن الوليد هاربا من دمشق ثم ظفر به مروان فقتله كما يذكر المسعودى بينما يذكر السيوطى أن إبراهيم هرب ثم جاء وخلع نفسه وسلم الخلافة إلى مروان وبايع طائعا ثم عاش بعد ذلك إلى سنة ١٣٢هـ فقتل مع من قتل من بن أمية أيام أبي العباس السفاح.

مروان بن محمد « ١٢٦ ـ ١٣٢هـ »:

هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ويلقب بالجعدى نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم من أصحاب المقالات في الاعتزال، ويلقب بالحمار نظرا لصبره على محاربة الخارجين عليه وعلى مكاره الحرب.

قام مروان بن محمد بخلع إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بعد توليه الخلافة بسبعين يوما وأخذ البيعة لنفسه فهرب إبراهيم ثم جاء إلى مروان وخلع نفسه من الخلافة وسلمها له طائعا فى صفر سنة ١٢٧هـ ولما ولى مروان بن محمد الخلافة نشطت الفتن والقلاقل فى الدولة فقد نشطت الشيعة في بث دعوتها، كما انتشرت دعوة بنى العباس وتزايد سخط الناس على بنى أمية وكان معظمهم من الموالى المسلمين من غير العرب وشهدت خلافة مروان بن محمد نشاط الدعوة العباسية ونشاط بنى العباس الذين استفادوا من تدهور الأحوال فى الدولة الأموية وسخط الموالى وتذمر الشيعة فنشطوا فى العمل لأنفسهم ورفعوا شعار الرضا من آل محمد أى أن تكون الخلافة لمن يرضى عنه المسلمون من آل البيت علويا كان أم عباسيا، وقد نجح داعية العباسيين أبو مسلم الخراسانى فى إعلان الثورة على الأمويين فى خراسان ونجح فى انتزاعها من الأمويين وتمت البيعة لأبى العباس السفاح فى الكوفة أما مروان بن محمد فقد تعقبه العباسيون حتي أوقعوا به الهزيمة، علي نهر الذاب وهو أحد روافد دجلة واضطر مروان إلى الهروب إلى الشام ثم اضطر إلى الالتجاء إلى

مصر وانتهى به الأمر إلى أن قتل في بوصير بالفيوم في ذي الحجة سنة ١٣٢هـ ويقتل مروان بن محمد ينتهي حكم الأمويين ويبدأ عهد جديد في التاريخ الإسلامي هو العهد العباسي بعد أن أقام العباسيون دولتهم التي عرفت بالدولة العباسية.

سقوط الدولة الأموية وأسبابه :

تجمعت الظروف والعوامل التي أدت إلى زوال الخلافة الأموية وظهر أثرها بوضوح منذ أواخر القرن الأول الهجري وأوائل القرن الثاني. وقد سقطت الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ دون أن يتجاوز عمرها القرن من الزمان وكما ذكرت هناك أسباب عديدة أضعفت تلك الدولة وأدت إلى سقوطها في مقدمة تلك الأسباب المعارضة التي لقيتها الدولة منذ قيامها وبخاصة من جماعة المسلمين الذين لم يقروا حكم الأمويين والطريقة التي وصلوا بها للحكم ومنهم من رأى أن معاوية انتزع الحكم من مستحقيه وأنه أغفل نظام الشورى ولقد كانت جماعتي الشيعة والخوارج من أكثر المعارضين للحكم الأموي ومن أشدهم عملاً على إسقاطه وبينما كانت الدولة الأموية تعمل من أجل مواجهة الأحزاب المعارضة والقضاء علي ثوراتهم ، كان العباسيون يعملون لأنفسهم ، واستغلوا جميع العناصر الساخطة علي الحكم الأموي حتي نجحوا في إقامة دولتهم علي أنقاض الخلافة الأموية .

الشيعة:

يري العلويون الذين عرفوا بالشيعة وهم أشياع على وآل البيت أن الأمامة حق لآل البيت من نسل على والسيدة فاطمة أبنة رسول الله وأن خلافة الأمويين باطلة من أساسها وأن أبى بكر وعمر وعثمان أخذوا حق الأمامة من على وقد تطور أمر الشيعة بعد معركة كربلاء وهى المعركة التى استشهد فيها الحسين سنة ٦١هـ وزادت هذه المعركة فى أعداد المناصرين للعلويين وقام الشيعة بثورات كثيرة ضد الأمويين الذين كان منهم من أمر بلعن على على المنابر مثل معاوية بن أبى سفيان علي أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كتب إلي ولاته بمنع سب علي بن أبي طالب .وفى عهد مروان بن الحكم تحركت الشيعة بالكوفة سنة ٦٥هـ فتلاقوا وندموا على مافرطوا فى حق الحسين وتابوا مما فعلوا فسموا التوابين استمرت ثورات الشيعة . ففى عهد هشام بن عبدالملك الذى حكم من سنة (١٠٥ - ١٢٥هـ) ثار عليه العلويون بقيادة زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب إمام الشيعة الزيدية وتبعه خمسة عشر ألفا من أهل الكوفة وقد اشتبك مع جيش الخليفة في عدة معارك انتهت بقتله. وقد أمعن هشام فى التنكيل بالعلويين وعدم التسامح معهم وبرغم استخدام الأمويين للعنف فى مقاومة الحركات الشيعة فقد استمرت الثورات العلوية ضد الأمويين كما أخذ الشيعة يبثون دعاتهم فى أرجاء الدولة الإسلامية خاصة فى المناطقة البعيدة عن دمشق ونجحوا من خلال تنظماتهم السرية فى استمالة أعداد كبيرة إلى جانبهم ضد الحكم الأموى وبخاصة فى بلاد فارس.

وقد فطن العباسيون لأهمية المعارضة العلوية للخلافة الأموية وأحسنوا الدعوة لأنفسهم ولكي يضمنوا عدم معارضة العلويين لدعوتهم نادوا بشعار « الرضا من آل محمد » فاجتذبوا إليهم بهذا الشعار أعداداً هائلة من الشيعة الذين اعتقدوا أن المقصود من هذا الشعار أن تكون الخلافة لهم فانضموا إلي العباسيين الذين أعلنوا أنها لهم في اللحظة المناسبة .

الخوارج :

هم فرقة نشأت عقب معركة صفين بين على ومعاوية وبعد حادثة التحكيم وكان هؤلاء قد أجبروا عليا على قبول التحكيم وبعد أن تم التحكيم احتج هؤلاء على على لقبوله رافعين شعار « لاحكم إلا لله » وهجروا جيش على وانسحبوا إلى قرية حروراء بالقرب من الكوفة وسموا لذلك بالحرورية ، كما سموا أنفسهم بالشراة وبرغم أن عليا قد أوقع الهزيمة بالخوارج عند النهروان إلا أنهم بعد أن انهزموا تفرقوا إلى أماكن عديدة وتطورت أفكارهم الدينية ، كما قوى شأنهم فى العهد الأموى وشكلوا حزب معارضة قوى للأمويين وكان رأى الخوارج أن الخلافة ليست أمرا قاصرا على قريش وإنما هى حق مباح لكل مسلم حر وأن لجماعة المسلمين الحق فى عزل الحاكم الذى يختارونه ليحكمهم لو حاد عن الطريق القويم وقد حاول الخوارج إسقاط الأمويين ومن عهد معاوية وجد الخليفة معارضة قوية منهم لاعتقادهم أنه لم ينل الخلافة عن إجماع من المسلمين وتصدى لقتالهم زياد بن

أبى سفيان وفى عهد عبد الملك بن مروان استطاع قائده الحجاج بن يوسف أن يهزم الخوارج الصفرية والخوارج الأزارقة « وقد هدأت حركة الخوارج في عهد الوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان وفي عهد عمر بن عبد العزيز رأي هذا الخليفة أن يسلك مع الخوارج سياسه اللين . علي أن الخوارج عادوا إلي الظهور وإثارة الصعاب أمام الأمويين بعد وفاة عمر بن عبد العزيز» .كما اشتدت ثورات الخوارج فى عهد مروان بن محمد الذي بذل جهدا كبيراً للقضاء عليها واستطاع الخوارج بذلك أن يقلقوا الدولة ويجهدوا اقتصادها مما أدى فى النهاية إلى انهيارها ثم سقوطها.

ومن الأحزاب المعارضة للخلافة الأموية الزبيريون:

طمع عبد الله بن الزبير في الخلافة مثل غيره، ولكنه كان لا يستطيع أن يطالب بالخلافة مادام الحسين إلي جانبه بالحجاز، فلما بلغه مقتل الحسين أظهر ما كان يخفيه وأخذ البيعة من أصحابه بمكة وحاول يزيد أن يستميله ويحثه علي الذهاب إلي الشام، ولكن بن الزبير أبي الاستجابة لدعوته، وقد رأي عبد الله بن الزبير بعد وفاة يزيد وتولية ابنه معاوية الثاني وانقسام بني أمية علي أنفسهم أن يدعو الناس إلي بيعته ولقب نفسه أمير المؤمنين، فأيد بيعته كثير من أهل الأمصار ـــ وكان أهل المدينة يرون في مبايعة ابن الزبير خلاصا من الحكم الأموي وتمهيدا لعودة الخلافة إلي مقرها السابق بالحجاز، ولذلك سارعوا إلي بيعته. وكتب ابن الزبير إلي عامله بالمدينة يطلب منه أن

يعمل علي إخراج بني أمية منها فأبعدهم بعيالهم ونسائهم إلي الشام وقدموا دمشق بعد أن ولي مروان بن الحكم الخلافة .

ولم تقتصر دعوة ابن الزبير علي بلاد الحجاز بل اتسع نطاقها فانتشرت في بعض الأمصار كالعراق والشام ومصر.

وقد وجه عبد الله ابن الزبير اهتمامه بعد أن ولي مروان بن الحكم الخلافة إلي الاحتفاظ بسيطرته علي الأمصار التي بايعته غير أن مروان لم يتركه بل أعد العدة لانتزاع هذه الأمصار من يده فلما اجتمع له أمر الشام سار علي رأس جيش إلي مصر واستردها من عامل ابن الزبير وأخذ البيعة فيها لنفسه . كما أعد حملتين سير إحداهما إلي الحجاز حيث دعا عبد الله بن الزبير إلي نفسه بالخلافة والأخري إلي العراق وقد لحقت الهزيمة بجيش مروان الذي حاول استرداد المدينة كما فشلت أيضا الحملة التي سيرها مروان إلي العراق وتعذر عليها تنفيذ خطتها في حياة مروان الذي توفي سنة ٦٥ هـ .

ولما ولي الخلافة عبد الملك بن مروان واصل الجهاد ضد الزبيريين حتي استطاع القضاء علي حركة ابن الزبير تماما وقتل ابن الزبير في جمادي الآخرة سنة ٧٣هـ .

ولا شك أن دعوة عبد الله بن الزبير وما بذله الأمويون من جهود للقضاء عليها كان له أثر كبير في إضعاف الخلافة الأموية .

تعصب الأمويين للعرب :

«سوى الإسلام بين الناس على إختلاف ألوانهم وأجناسهم قال تعالى: "ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير". فلما قامت الدولة الأموية لم يحقق الأمويون مبدأ المساواة بل تعصب الأمويون للعرب والعربية وأساءوا معاملة الموالى فى الدولة (وهم المسلمون من غير العرب) وقد أخذ عدد الموالى فى الازدياد بعد انتقال الخلافة للأمويين ونجاحهم فى توسيع رقعة دولتهم وقد قيل أن الأمويين نظروا إلى الموالى نظرة ترفع واحتقار وأنهم كانوا لايولونهم مناصب القيادة فى الدولة والجيش ولايشركونهم معهم فى الإدارة والحكم، ومع ذلك فإن بعض الخلفاء من بني أمية رأوا الانتفاع بخبرتهم مثل معاوية بن أبي سفيان، واستعان بهم زياد بن أبي سفيان فاتخذ من أصحابهم كتابًا للرسائل، وحذا ابنه عبيد الله حذوه في تقريب الموالي فاتخذ منهم جيشًا عُرف بالمحاربة ، علي أن الموالي ما لبثوا أن تعرضوا لاضطهاد الحجاج أثناء ولايته علي العراق فلم يسويهم بالعرب في المعاملة ، بل أرغم حديثي العهد بالإسلام علي دفع الجزية » ولذلك وقف الموالي منذ ذلك الوقت من الأمويين موقف المعارضة » وفي عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك أحسن معاملة الموالي ، كما عاملهم عمر بن عبد العزيز معاملة طيبة فمنحهم الحقوق التي كان يتمتع بها المسلمون من العرب ، كما

أمر ولاته بإعفاء الذين يدخلون في الإسلام من دفع الجزية، لكن هذا المبدأ ألغي في عهد من خلفه، واستخدمت سياسة العنف مع أهل الصفد لإرغامهم علي دفع الجزية مع دخولهم في الإسلام، ولهذا شجع الموالي الثائرين علي الخلافة الأموية.وأخذوا يتلمسون الفرص للإيقاع بهم فانضموا للخوارج واعتنقوا مبادئهم وانتهز الخوارج تلك الفرصة لتحقيق أهدافهم وقد استغل دعاة العباسيين فى أواخر العهد الأموى استياء الموالى من الحكم الأموى وعملوا على إغرائهم بالانضمام إليهم ذلك أنهم وعدوهم بالعمل على تحسين حالهم ومساواتهم بالعرب وإقامة العدل ولاشك أن (الموالى) كرهوا سيادة العرب وعز عليهم ضياع سلطانهم وفقدان استقلالهم فانضموا لذلك إلى العناصر المناهضة للخلافة الأموية وكانو من العوامل التى عجلت بزوالها، فعندما أشعل أبو مسلم في خراسان نار الثورة علي بني أمية انضوي تحت لوائه عدد كبير من الموالي بل أسهم الموالي أنفسهم في نشر الدعوة العباسية ، فكان من بين نقباء هذه الدعوة الإثني عشر أربعة من الموالي إلي جانب ثمانية من العرب.

ظهور روح العصبية القبلية:

كانت العصبية القبلية من أهم العوامل التى أدت إلى القضاء على الدولة الأموية تلك العصبية التى عمل الإسلام على القضاء عليها ، وقد بعثت هذه الروح العصبية بين القبائل عقب وفاة يزيد بن معاوية غير أنها لم تكن من الشدة بحيث تؤثر على قوة الدولة إلى أن كانت خلافة عمر بن عبد العزيز التى كانت فترة انتقال بين

حال القوة والتماسك وحال الضعف والتفكك ذلك أن عمر لم يتعصب لقبيلة دون أخرى ولم يول واليا إلا لكفايته وعدالته فسكنت فى عهده الفتن.

ولما توفى عمر بن عبد العزيز تولى يزيد بن عبد الملك الذى تعصب للعرب المضرية (عرب الشمال) ضد العرب اليمانية (عرب بالجنوب) وكانت هذا الفتنة سببا فى القضاء على أفراد بيت المهلب بن أبى صفرة فقد قتل بعضهم فى الحرب وحمل بعضهم فى الأغلال إلى يزيد بن عبد الملك فأمر بهم فقتلوا جميعا وكان المهالبة (أسرة المهلب بن أبى صفرة من كبار المخلصين للدولة ومن كبار المعاونين في القضاء على ثورات الخوارج فانحاز إليهم العنصر اليمني وأخذ يزيد جانب القيسين .

ولما توفى يزيد بن عبد الملك وخلفه أخوه هشام رأى أن القيسيه قد علت مكانتها وخاف إزدياد نفوذها في الدولة فعمل على التخلص منهم والأنحياز إلى اليمنية ليعيد التوازن بين العنصرين ولكن هشام سرعان ما تحول عن اليمنية إلى المضرية فولى العمال من المضريين مما أدي إلى سخط اليمانية.

كذلك لزم الوليد ابن يزيد بن عبد الملك جانب المضريين لأن أمه كانت منهم وأقصى العنصر اليمنى مما زاد من سخطهم على الأمويين وانضموا إلى يزيد بن الوليد بن عبد الملك وقتلوا الوليد سنة ١٢٦ هـ وبايعوا يزيدا بالخلافة الذى انحاز إلى اليمنين اعترافا بفضلهم مما أدى إلى سخط المضرين وقيامهم بالثورات.

ولما تولى مروان بن محمد سنة ١٢٧ هـ ثارت روح العصبية القبلية فى جميع أنحاء الدولة وتعصب مروان للقيسين ونجح فى القضاء على ثورات اليمنين فى الشام. والخلاصة أن الدولة الأموية دخلت بسبب العصبية القبلية تارة فى دائرة نفوذ اليمانية وتارة فى دائرة نفوذ القيسية الأمر الذى أدى إلى شدة الاضطراب وكثرة الحروب الداخلية وكان تزايد نفوذ أى من الفريقين يعتمد على ميول كل خليفة من خلفاء الأمويين وقد أدت هذه العصبية القبلية والنزاع بين عرب الشام القيسية والعرب اليمانية إلى ضعف الدولة وعدم قدرتها على السيطرة على ولاياتها هذا فى الوقت الذى اشتد فيه أمر الدعوة العباسية ولم تستطع الدولة الأموية مواجهة تلك المخاطر والظروف فسقطت فى أيدى العباسيين.

نظام ولاية العهد :

كان من الأمور التى استحدثها خلفاء بنى أمية اختيارهم ولى العهد فى حياتهم فضلا عن توليتهم العهد لأكثر من واحد يلى أحدهما الآخر، فلم يكد يتم الأمر لأولهما حتى يعمل على إقصاء الثانى من ولاية العهد وإحلال أحد أبنائه مكانه ولهذا أدى هذا النظام إلى انقسام البيت الأموى على نفسه بسبب تولية الخلفاء العهد بعدهم لأكثر من واحد وأدى هذا إلى النزاع بين أمراء البيت الأموى الحاكم والصراع على تولى الحكم مما أضعف الدولة ، وكان مروان بن الحكم هو أول من سن هذه السنه حين جعل ولاية العهد من بعده لأبنيه عبدالملك ثم عبد العزيز.

مخالفًا بذلك ما اتفق عليه الأمويون في مؤتمر الجابية وهو مبايعة مروان ابن الحكم بالخلافة علي أن يخلفه خالد بن يزيد بن معاوية ثم عمرو بن سعيد بن العاص من بعده. وكان من أثر ذلك أن خرج عمرو ابن سعيد علي عبد الملك بن مروان سنة ٧٠ هـ ودعا الناس إلي بيعته وبالرغم من اتفاقهما علي الصلح بعد تعهد عبد الملك علي أن تكون الخلافة من بعده لعمرو بن سعيد إلا أن عبد الملك تخلص منه لكي يتولاها ابنه . وقد سار عبد الملك بن مروان على سنة أبيه فقد فكر فى خلع أخيه عبد العزيز من ولاية العهد وتولية أبنه الوليد ثم سليمان ولم يمنعه من ذلك سوى وفاة أخيه عبد العزيز قبل أن يقدم على هذه الخطوة،فعهد إلي ولديه الوليد ثم من بعده لسليمان ، ولما استقرت الخلافة للوليد بن عبد الملك، اقتدي بأبيه في محاولته نقل ولاية العهد إلي ابنه، ففكر في عزل أخيه سليمان وتولية عبد العزيز ابن الوليد مكانه، وكتب إلي عماله أن يبايعوا لعبد العزيز فوافقه علي ذلك الحجاج بن يوسف الثقفي وقتيبة بن مسلم والي خراسان ومحمد بن القاسم والي السند، علي أن الوليد لم يجن من وراء ذلك سوي قيام الخلافات بينه وبين أخيه ثم توفي دون أن يتحقق غرضه. ولما تولي سليمان بن عبد الملك الخلافة تخلص من الكثير من القواد والعمال لاتهامهم بممالأة الخليفة السابق عليه، فقد تخلص من الكثير من قواد الدولة من أسرة الحجاج بن يوسف كما قام بخلع قتيبة بن مسلم عن ولاية خراسان، وانتهي الأمر بقتله سنة ٩٦ هـ . ولقد ظهر هذا الخلاف واضحا فى البيت الأموى الحاكم فى النزاع الذى وقع بين يزيد بن الوليد بن عبد الملك وبين إبن عمه الوليد بن يزيد وقد

شارك فى قتل يزيد وإزاحته عن الخلافة، ولقد اضعفت هذه الخلافات من قوة البيت الأموى وكان الخليفة بعد أن يتولي الخلافة ينتقم من القواد والعمال لمجرد اتهامهم بممالأة الخليفة السابق علي خلعه .مما أتاح للعباسيين الاستفادة من جميع هذه الظروف ومن جميع العناصر الساخطة على الحكم الأموى ونجحوا فى النهاية فى إسقاط الدولة الأموية وأقاموا دولتهم العباسية.

انصراف بعض الخلفاء إلى الترف :

كان لانصراف بعض خلفاء بنى أمية إلى حياة البذخ والترف أثر كبير فى سقوط دولتهم فقد اشتهر يزيد ابن معاوية بحبه للهو، أما يزيد بن عبد الملك فإنه لم يكن أحسن حالا من يزيد بن معاوية فقد كان يميل إلى اللهو والخلاعة وعشق النساء وقيل إنه شغف بجاريتين إحداهم تسمى سلامة والأخرى حبابة واشتهر بذكرها كذلك اشتهر ابنه الوليد باللهو والمجون وكان شاعرا مجيدا له أشعار كثيرة فى العتاب والغزل.

وعلي هذا وفي ضوء العوامل السابقة أصبحت الأحوال السياسية في الدولة العربية الإسلامية منذ أوائل القرن الثاني الهجري تنبئ بحدوث انقلاب كبير، فأخذ العباسيون يتطلعون إلي الخلافة، ووجهوا دعاتهم إلي العراق وخراسان إذ وجدوا أن الحال أصبح ملائمًا لنشر دعوتهم، وقد نجحت جهودهم حيث لم يبق للأمويين سند قوي يساعدهم علي تثبيت سلطانهم ولم يكن في مقدور الأمويين الوقوف في

وجه هؤلاء الدعاة فقد ضعف أمرهم في كثير من الأمصار الإسلامية ، مما أعان العباسيون علي إنهاء الحكم الأموي ونقل الخلافة إليهم .

نظم الحكم وبعض مظاهر الحضارة في الدولة العربية الإسلامية :

النظام السياسي :

بعد أن أقام الرسول صلى الدولة فى المدينة أصبح هو الرئيس الأعلى لحكومتها وكان المسلمون يرجعون إليه لحل مشاكلهم الدينية والمدنية وقد حكم الرسول بما أنزل عليه من وحى وكان يستشير كبار الصحابة وخاصة أبا بكر وعمر فيما لم ينزل به الوحى من تشريع والتشريع الإسلامى وضع النظم التى تنظم كل شئون الحياة من عبادات أو أمور جنائية أو شئون الأسرة وتنظيم علاقات أفرادها بعضهم ببعض وعلاقات الإنسان بمجتمعه وتنظيم التعامل بين الناس بعضهم وبعض.

ولما توفي الرسول وفوجيء المسلمون بوفاته وقد ترك مسألة الحكم من غير أن يبت فيها ، واجه المسلمون مشكلة وهي من يدبر أمر المسلمين ويتولي قيادتهم بعد الرسول فنشأ لذلك ما يعرف بنظام الخلافة » . وعرف من خلف رسول الله فى حكم الدولة الإسلامية (الخليفة) وأطلق الشيعة عليه (الإمام) فالخلافة هى رياسة فى أمور الدين والدنيا نيابة عن الرسول ﷺ .

وقد تولى الخلافة بعد الرسول صلى أربع خلفاء عرفوا بالخلفاء الراشدين وكان طريقة توليتهم انتخابية ولكن الخلافة تحولت فى العهد الاموى الى النظام الملكى الوراثى مثلما كان الحال عند الفرس والروم ولما استقر الأمر لمعاوية بن أبى سفيان أوجد فكرة ولاية العهد وتطور هذا الامر بعد معاوية وأصبح الخليفة يختار لولاية العهد أكثر من إبن من أبنائه.

وقد نادى المهاجرون فى سقيفة بنى ساعدة بأن الخلافة يجب أن تكون فيهم وأن الخليفة يكون من قريش أما الأنصار فقد طلبوا بالخلافة لأنهم نصروا الرسول وآووه فى مدينتهم وانتهى الأمر باعترافهم للقريشيين المهاجرين بحق الخلافة. ويرى الشيعة أن الخلافة يجب أن تكون لعلى ثم لأولاده من بعده عن طريق الوراثة ويعتقد الشيعة أن النبى عين عليا خليفة له تصريحا وتلميحا. أما تصريحا فاستندوا فى ذلك على حديث غدير خم حيث ورد أنه النبى لما خرج لغزوة تبوك استخلف عليا وراءه وقال «أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبى بعدى ثم قال اللهم وال من والاه و عاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله والإمام عند الشيعة له صفات دينية فهو عندهم مستودع العلم الشرعى لأنه هو وحده الذى يفهم القرآن والسنة ولذلك لقبوا الخليفة بلقب إمام لأنهم يعتبرونه قدوة لهم.

أما الخوارج فهم يعتقدون أن الخلافة حق لكل عربى حر ويرون صحة خلافة أبى بكر وعمر وعثمان فى سنى حكمه الأول وصحة خلافة على حتى قبوله التحكيم وعدم صحة خلافة الأمويين.

وكان للرسول أعوان يؤدون وظائف الدولة فكان له مجلس استشاري من كبار الصحابة يؤدون عمل الوزارة وإن لم يكونوا يتسمون بالوزراء وكان الرسول يتولى أمر القضاء وبعد اتساع الدولة كان ينيب عنه قضاة يحكمون بين الناس. وكان الرسول ينيب عنه عمالا على القبائل وعلى المدن فكان على كل مدينة كبيرة بالحجاز واليمن وعلى كل قبيلة كبيرة عامل من عماله، وكانت وظيفة هؤلاء العمال فى أعمالهم إمامة الناس فى الصلاة وجمع الصدقات.

وقد تكونت السلطة التنفيذية فى الحكومة الإسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين من الخليفة ومجلس من أهل الشورى من كبار الصحابة وهو يتشاور مع الخليفة فى أمور المسلمين العامة وفى العهد الأموى استخدم الخلفاء الأمويون رجالا يقومون بعمل الوزراء ولكن لم يطلق عليهم هذا اللقب.

الكتابة:

ومن أكبر أعوان الخليفة « الكاتب » فكان عمر بن عبد الخطاب وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهم يكتبون القرآن والكتب التي كان النبي يرسلها إلي الملوك والأمراء. ولما ولي الخلفاء الراشدون اتخذوا كتابا لهم، ولما انتقلت الخلافة إلي بني أمية تعدد الكتاب لتعدد مصالح الدولة، وأصبح الكتاب خمسة، كاتب الرسائل، وكاتب الخراج، وكاتب الجند، وكاتب الشرطة، وكاتب القاضي،

وكان كاتب الرسائل أهم هؤلاء الكتاب في الرتبة، وكان الخلفاء لا يولون هذا المنصب إلا أقربائهم وخاصتهم وظلوا علي ذلك إلي أيام العباسيين .

الحجابة:

كان الخلفاء الراشدون لايمنعون أحداً من الدخول عليهم، بل كانوا يخاطبون الناس على اختلافهم بلا حجاب، فلما انتقلت الخلافة إلى بنى أمية اتخذ معاوية حاجبا مهمته إدخال الناس عليه بحسب أهمية مراكزهم وتبع معاوية فى ذلك من تولى من بعده من خلفاء بنى أمية وذلك خوفا على أنفسهم من شر الناس وتلافيا لأزدحامهم على أبوابهم وشغلهم عن النظر فى مهام الدولة ، فالحاجب موظف كبير وكان يشغل منصبا ساميا فى البلاط ومهمته إدخال الناس على الخليفة مراعيا فى ذلك مقامهم وأهمية أعمالهم ولكنهم كانوا يبيحون الدخول لثلاثة فى أى وقت شاءوا وهم مؤذن الصلاة وصاحب البريد وصاحب الطعام.

٢ ـ النظام الإدارى :

كانت حكومة الرسول ﷺ فى المدينة المنورة حكومة بسيطة إذ جمع الرسول فى يده السلطتين الدينية والدنيوية فكان هو الحاكم والقاضى والقائد وتخضع إدارة الدولة فى العاصمة وماحولها لسلطته مباشرة ولما تولى أبوبكر الخلافة عهد إلى بعض الصحابة ببعض الأعمال فكلف عمر بن الخطاب بمهمة القضاء فى المدينة وعهد إلى أبى عبيدة بن الجراح بأمانة بيت المال فلما تولى عمر بن الخطاب أنشأ

الدواوين فى الدولة الإسلامية نقلا عن الفرس بسبب اتساع الدولة فى عهده وكثرة مواردها والحاجة لضبط هذه الموارد والاستفادة منها فأنشأ أول ما أنشأ ديوانى العطاء والجند، وديوان العطاء هو الديوان الخاص بتوزيع أموال الفتوح فجعل عمر بن الخطاب لعموم المسلمين عطاءاً ثابتا من هذه الأموال.

أما ديوان الجند فقد انشأه عمر لتسجيل أسماء الجنود وأسرهم ورصداً عطيات ثابتة لهم مقابل تفرغهم للقتال.

وفى العهد الأموى تطورت الإدارة فى الدولة الإسلامية وانشأ الأمويون دواوين أخرى وهى ديوان الخاتم وديوان الخراج وديوان الرسائل وديوان المستغلات.

ديوان الخاتم :

وهو الديوان الذى انشأه معاوية بن ابى سفيان لختم الأوراق وتوقيعها منعا للتزوير وكان موظفوه يقومون بنسخ أوامر الخليفة التى وقع عليها وإيداعها بهذا الديوان بعد ختمها بالشمع حتى لايجرؤ أحد على تزوير هذه الأوامر ويرجع السبب فى إنشاء هذا الديوان إلى أن معاوية أحال رجلا على زياد ابن أبيه عامله على بلاد العراق بمائة ألف درهم فمضى ذلك الرجل وقرأ الكتاب وجعل المائة مائتين فلما رفع زيادة حسابه إلى معاوية أنكر هذا العدد وقال «ماأحلته إلا بمائة ألف» ثم استعاد المائة ألف من الرجل ووضع ديوان الخاتم.

ديوان الخراج، وهو خاص برصد الخراج المفروض على الأرض التى فتحها المسلمون عنوة فى مختلف الأمصار وكان هذا الديوان من الدواوين الهامة التى تتعلق بميزانية الدولة، وكان يكتب في هذا الديوان بالفارسية والرومانية إلي عهد عبد الملك بن مروان الذي نقل ديوان فارس والشام إلي العربية، ونقل ابنه الوليد ديوان مصر إلي العربية سنة ٨٥هـ .

أما ديوان الرسائل فكان لصاحبه الإشراف علي الولايات والرسائل التي ترد من الولاة، أما ديوان المستغلات فهو ديوان تجمع فيه الإيرادات المتنوعة .

من النظم الإدارية الهامة فى الدولة الإسلامية البريد وكان أول من اتخذه معاوية بن أبى سفيان اقتداء بما كان عند الفرس والروم وأدخلت تعديلات وتحسينات كبيرة على نظام البريد فى الدولة الإسلامية فى عهد عبد الملك بن مروان فحرص عبد الملك على تطوير هذا النظام وجعل منه شبكة محكمة تربط أجزاء الدولة المترامية الأطراف وأقام على البريد موظفين مسئولين مهمتهم نقل كل مايحدث فى مناطقهم من الأحداث الهامة للخليفة، وبلغ من اهتمامه بالبريد أن عامله كان يدخل عليه في أي وقت، وكان يري أن تأخير عامل البريد ساعة قد يفسد أعمال الولاية سنة .

الشرطة :

«والشرطة هى الجند الذين يعتمد عليهم الخليفة أو الوالى فى استتباب الأمن وحفظ النظام والقبض على الجناة والمفسدين وما إلى ذلك من الأعمال الإدارية التى

تكفل سلامة الجمهور وطمأنينتهم وقد سموا بذلك لأنهم أشرطوا أنفسهم بعلامات خاصة يعرفون بها».

عرفت الدولة الإسلامية في العصرين الراشدى والأموى نظام الشرطة، وقيل أن عمرو بن العاص هو أول من شرط الشرطة عندما ولى أمرة مصر الولاية الأولى له، بينما يذكر مؤرخون آخرون أن معاوية هو أول من إستعمل الشرطة، ولكن من المعروف أن تفقد أحوال الرعية ليلا وتتبع اللصوص ترجع إلى العهد الراشدى وأن عمر بن الخطاب تولى بنفسه العسس أى المراقبة ليلا والإطمئنان على أحوال الرعية ثم لما تكاثر المفسدون وظهر أمرهم واتسعت الدولة أنشأ الخلفاء الشرطة لحفظ الأمن وفى عهد على بن أبى طالب نظمت الشرطة وأطلق على رئيسها صاحب الشرطة وكان يختار من علية القوم وأهل العصبية والقوة .

وكانت الشرطة فى أول الأمر تابعة للقضاء ومنفذة لأحكام القضاة ثم استقلت الشرطة عن القضاء وكان من مهام صاحب الشرطة الأشراف على السجون فى الدولة وقد ظهرت هذه السجون منذ عهد عمر بن الخطاب وتطورت فى عهد الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز.

وقد أدخل هشام بن عبدالملك (١٠٥ - ١٢٥هـ) نظام الأحداث وكان صاحبه يشرف على الأعمال العسكرية التى تعتبر وسطابين أعمال صاحب الشرطة والقائد ولما فتح العرب مصر كانت الشرطة فى مدينة الفسطاط ولما تأسست مدينة

العسكر سنة ١٣٢ هـ أنشت فيها دار أخرى للشرطة أطلق عليها دار الشرطة العليا كما أطلق على دار الشرطة فى القسطاط دار الشرطة السفلى.

٣ - النظام القضائى:

أ - القضاء:

وجدت نواة القضاء عند العرب فى الجاهلية ولم يكن عند العرب سلطة تشريعية تسن لهم القوانين بل ساد عندهم التقاليد والعادات التى يحكم بها شيخ القبيلة بين أفراد قبيلته وكثيرا ما كان يحكمون بالقرعة ويلجئون إلى الكهان والعرافين.

ولما جاء الإسلام تولى الرسول الفصل فى الخصومات فقد كان عليه السلام قاضيا كما كان للشريعة مبلغا ولم يكن للمسلمين فى عهده قاض سواه وكان الرسول يحكم بين الناس بما ينزله الله عليه من الوحى ولما انتشرت الدعوة الإسلامية أذن الرسول لبعض الصحابة بالقضاء بين الناس بالكتاب والسنة والاجتهاد .

ولما تولى أبو بكر الصديق الخلافة تولى مهمة القضاء ثم أسند إلى عمر ابن الخطاب هذه المهمة ولما اتسعت الدولة الإسلامية فى عهد عمر بن الخطاب تعذر عليه القيام بأعمال القضاء بين الناس فعهد بهذه المهمة إلى أشخاص يتفرغون لها

فكان عمر أول من عين القضاة فى الولايات الإسلامية وقد سن عمر لهؤلاء القضاة دستورا يسيرون على هديه في الأحكام ولم يعط عمر الولاة حق تعيين القضاة في ولاياتهم وإنما كان يتم تعيينهم من قبل الخليفة مباشرة وكان يراعي في اختيار القاضي غزارة العلم والتقوى والورع والعدل ولم يكن للقاضي كُتّاب أو سجل تدون فيه الأحكام لأنها كانت تنفذ على أثر البت فيها وكان القاضي يقوم بتنفيذها بنفسه.

وفى العهد الأموى لم يحدث تغيير فى نظام القضاء إذ حافظ القضاة على استقلالهم فى الأحكام وعدم تأثرهم بالسياسة وكان القضاة فى العصر الأموى من خيرة الناس وكان الخليفة يراقب أحكامهم ويعزل من يشذ منهم عن الطريق السوى وفى ذلك العهد ظهرت الحاجة إلى وجود سجلات تدون فيها الأحكام التى يصدرها القضاة فوجدت السجلات ولم تعرف فى عهد الخلفاء الراشدين.

ب - الحسبة:

وكانت سلطة القاضى موزعة بينه وبين المحتسب وقاضى المظالم وكان عمر بن الخطاب أول من وضع نظام الحسبة وقد تولاها بنفسه في باديء الأمر ثم اختص بها موظف عرف بالمحتسب مهمته الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومراقبة الأسواق والمرور فى الطرقات.

جـ - النظر فى المظالم :

وكان الخلفاء الراشدين ينظرون فى شكاوى من يأتيهم من المتظلمين ويعملون على إنصافهم ولكنهم لم يحددوا لذلك زمانا ولامكانا وكان الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان أول خليفة يفرد يوما للنظر فى شكاوى المتظلمين ولكن بعض الخلفاء الأموين بعده أهملوا هذة القاعدة وفى عهد العباسين تم إنشاء ديوان خاص بالمظالم.

٤ - النظام المالى:

يقصد به موارد الدولة الإسلامية ومصارفها المالية وكانت هذه الموارد تجمع فى مكان يعرف ببيت المال، والخليفة عمر بن الخطاب هو أول من أنشأ بيت المال وكان مقره فى عاصمة الخلافة وكان بيت المال في عهد الراشدين يعتبر ملكا عاما لجميع المسلمين أى لكل منهم نصيب فيه.

موارد الدولة الإسلامية:

الخراج :

«الخراج فى الإسلام يقصد به مقدار من المال أو الحاصلات الزراعية ويفرض على نوعين من أنواع الأراضى وهي الأراضى التى فتحها المسلمون عنوة أى بالحرب والقتال فتبقى فى يد أهلها يفلحونها على أن يدفعوا نصف ماتغله هذه الأرض مالاً أو محصولا.

ثانيا: الأراضى التى صالح المسلمون أهلها وهم عليها على أن يؤدوا الخراج وتبقى فى أيديهم يتوارثونها.

وكانت هناك أراضى لايفرض عليها الخراج وإنما يدفع عنها أصحابها العشر كزكاة وعرفت لذلك بالأراضى العشرية وهي الأرض التى أسلم أهلها وهم عليها دون حرب، والأرض التي كانت تؤخذ من المشركين عنوة وتقسم بين الفاتحين ويدفعون عنها العشر من غلتها .

وكان الخراج يقدر علي حسب مساحة الأرض ومبلغ جودتها ونوع المحصول، وكان لكل ولاية من ولايات الدولة الإسلامية ديوان للخراج يتبع الديوان المركزي في العاصمة .

الزكاة: فهى الضريبة التى تفرض على المسلمين وهى زكاة النقد، وزكاة الشوائم وزكاة الزرع وزكاة المعدن أو الركار ويقصد بها المعادن أو الكنوز المدفونة فى الأرض أوالصخور ويؤخذ عنها الخمس.

والجزية: مبلغ يدفعه أهل الذمة للدولة مقابل حمايتها لهم وهى تقابل الزكاة التى يدفعها المسلمون وكانت الجزية تسقط عن الذمى بإسلامه وقدرت على حسب حالة الفرد وكان يعفى من أدائها النساء والشيوخ والأطفال وذى العاهات.

والفيء: هو ما أفاء الله به على المسلمين دون قتال ويدخل فيه ما صولح عليه المسلمون من جزية وخراج.

والغنيمة : هى مايعـود على المسلمين فى الحرب من العـدو بالقتـال ويأخذوه منهم عنوة وتشتمل علي أربعة أقسام هي الأسري والسبي والأرض والأموال .

وكانت هناك مصـادر أخرى للدخل ترد إلى الدولة الإسلاميـة مثل الضرائب التجـارية وتقوم الدولـة بصرف تلك الموارد على جـهات مختلفة مثل دفع رواتب الولاة والعمال والقضاة وصيانة مرافق الـدولة وتجهيز الجيش والإصلاحات الداخلية ونفقات البناء والتعمير وتطهير الأنهار وحفر الترع وغير ذلك.

النظام الحربى:

أ-الجيش: كان العرب فى الجـاهلية يحاربون بعضـهم بعضا بسبب العصـبية القبليـة التى شاعت فى المجتـمع القبلي والأخذ بالثـأر أولعوامل اقتـصادية فرضتـها طبيـعة البيـئة العربيـة فكانت تقوم الحروب دفـاعا عن المرعى وطلبًا لـلغنائم وكانت طريقة الحـرب تلائم الصحراء وتقـوم على ماعرف بالكر والفـر مستخـدمين أسلحة عديدة كان منها السيوف والرماح والقوس وغيرها.

ولما جاء الإسلام فرض الجهاد على المسلمين لتأمين الدعوة الإسلامية والدفاع عنهـا وكان الرسـول صلى يتـولى القـيادة فى الغـزوات ولما أخـذ العرب فى الفـتح والتوسع فى عهد الخلفاء الراشدين واتسعت الدولة لذلك أصبحت الحاجة ماسة إلى تنظيم الجيش وكان عمر بن الخطاب أول من جعل الجند فئة مخصوصة فأنشأ ديوان

الجند للإشراف عليهم بتقييد أسمائهم ومقدار أرزاقهم وإلى عمر يرجع الفضل فى إقامة الحصون والمعسكرات الدائمة لراحة الجنود فى أثناء الطريق.

ولما قامت الدولة الأموية حرص الأمويون على تنظيم الجيش وإتمام مابدأه عمر فيما يتعلق بتنظيم ديوان الجند كما يذكر المؤرخون أن عبد الملك بن مروان أدخل نظام التجنيد الإجبارى فى الجيش بعد أن كان الجيش يقوم على التطوع

وكان الجيش يتألف من الفرسان والرجالة وقد استخدموا الدروع والسيوف والرماح والأقواس وعرفوا أسلحة الحصار الثقيلة مثل المنجنيق والعرادة والدبابة.

وقد ترك العرب بعد الإسلام طريقة الكر والفر التى اتبعها عرب الجاهلية، فأخذ المسلمون فى عهد النبى يقفون لـلقتال صفوفا ثم يسيرون لملاقاة العدو متضامنين ليس لأحد منهم أن يتقدم عن الصف أو يتأخر عنه.

وفى عهد الأمويين اختلط العرب كثيراً بالفرس وأخذوا عنهم نظام التعبئة أى تقسيم الجيش إلى خمس كتائب ولذلك كانوا يسمون الجيش كله خميسا، تكون إحداها فى الوسط وتحت إمرة القائد العام وتسمى قلب الجيش وإلى يمينها واحدة تسمى الميمنة وأخرى إلى يسارها تسمى الميسرة ثم تكون أمامها كتيبة من الفرسان فى الغالب وتسمى المقدمة، وخلفها كتيبة تسمى ساقة الجيش.

ب ـ البحرية:

لم يكن العرب فى صدر الإسلام يهتمون بالحروب البحرية لعدم تعودهم ركوب البحر وكان أول من ركب البحر العلاء بن الحضرمى والى البحرين فى عهد عمر بن الخطاب فقد توجه لغزو بلاد فارس فى اثنى عشر ألفا من المسلمين دون أن يأذن له الخليفة ثم عاد المسلمون إلى البصرة بعد أن فقدوا سفنهم التى عبروا بها بلاد فارس فلما علم عمر بذلك وكان يكره ركوب البحر غضب على العلاء وكتب إليه يعزله عن القيادة.

ولما فتحت الشام شاهد العرب سفن الروم وتطلعت أنفسهم إلى مجاراة أعدائهم وألح معاوية «والى الشام فى عهد عمر» على الخليفة أن يأذن له بركوب البحر ولكن عمر كان يعارض فكرة ركوب البحر ولما ولى عثمان بن عفان أعاد معاوية طلبه فى غزو الروم بحرا فأذن له الخليفة عثمان على ألا يحمل الناس على ركوب البحر كرها فاستعمل معاوية على البحر عبدالله بن قيس، وأصبح للمسلمين قوة بحرية وكان لهذه القوة أثر كبير فى صد خطر الروم فقد حارب عبد الله بن سعد بن أبى سرح والى مصر من قبل عثمان قسطنطين بن هرقل وانتصر عليه فى موقعة ذات السوارى أوالصوارى جنوبي أسيا الصغرى مع أن عدد مراكب المسلمين كانت حوالى مائتين سفنية وقفت أمام ألف سفينة كانت الروم.

ولما ولى معاوية بن أبى سفيان عنى بإنشاء السفن الحربية لصد غارات الدولة البيزنطية على البلاد الإسلامية ورتب لغزوها الشواتى والصوائف وقد بلغ أسطول الشام ١٧٠٠ سفينة وفى عهد معاوية غزا عقبة بن عامر الفهري جزيرة رودس وفى سنة ٥٣هـ غزا الروم البرلس فى عهد ولاية مسلمة بن مخلد وقتلوا عددا كبير من المسلمين ومن ثم اهتم أمراء مصر ببناء السفن فأنشئت لأول مرة (٥٤هـ) دار الصناعة لبنائها فى جزيرة الروضة.

ولاشك أن من العوامل التى ساعدت على قيام البحرية الإسلامية كان توافر المواد الخام والأيدى العاملة الماهرة، فالأخشاب التى تصنع منها ألواح السفن والصوارى كانت تتوافر فى مناطق متعددة من الأراضى العربية فى مصر والشام ويتوفر معدن الحديد فى مصر والشام واليمن وهو اللأزم لعمل المسامير والمراسى والخطاطيف بالأضافة إلى هذه المواد الضرورية لصناعة السفن كانت تتوفر فى مصر والشام الأيدى العاملة الخبيرة وقد لعب القبط دورا رئيسيا فى صناعة الأسطول الإسلامى السورى والمصرى والمغربى وشاركوا فى المعارك البحرية التى خاضها العرب ضد البيزيطين، أما أهل الشام وبالذات سكان السواحل اللبنانية فقد برعوا فى صناعة السفن وتمرسوا فى ركوب البحر ونبغوا فى قيادة الأساطيل منذ أقدم العصور.

الحياة الثقافية والفكرية

عرف العرب قبل الإسلام القراءة والكتابة، وبرعوا في بعض العلوم التي تلائم البيئة العربية والحياة الجاهلية، فاعتقاد البعض أن لفظ « الجاهلية » يعني الجهل الذي هو نقيض العلم ، هو اعتقاد خاطئ، فقد أشارت المصادر العديدة إلي معرفة العرب بالقراءة والكتابة علي أنه لايمكن القول أن أمة العرب كلها كانت أمة قارئة ، كاتبة ، وأن المدارس كانت منتشرة في كل مكان تعلم الناس القراءة والكتابة، فقد كان العرب يتباينون في درجة ثقافتهم وتعلمهم القراءة والكتابة.

ومن المدن التي انتشرت فيها القراءة والكتابة قبل الإسلام مدينة الحيرة، ويثرب ، ومكة، وبعد ظهور الإسلام حرص الرسول علي تعليم الصحابة الكتابة، فقد عني الدين الإسلامي بالعلم ودعا إلي السعي في تحصيله، ففرض الرسول ﷺ علي كل أسير من أسري بدر يجيد القراءة والكتابة ولا يستطيع أن يفدي نفسه أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين وكان يحث الصحابة علي تعلم اللغات المعروفة في ذلك الوقت فنصح زيد بن ثابت بأن يتعلم كتابة اليهود لأنه لا يأمن جانبهم .

ولم يختص النبي الرجال بالعلم والتعليم بل حرص علي أن يكون للمرأة نصيب من ذلك، فقال عليه السلام « طلب العلم فريضة علي كل مسلم ومسلمة » .

تركزت الحركات العلمية في كافة الأمصار الإسلامية في صدر الإسلام في الناحية الدينية، وكان أكثر العلماء الذين ظهروا إذ ذاك علماء دين ، والمعروف أن الصحابة تفرقوا في كافة البلدان التي فتحتها الجيوش الإسلامية وهؤلاء الصحابة العلماء كانوا أساس المدارس الدينية في مختلف الأمصار .

والعلوم الدينية التي عرفها العرب في صدر الإسلام كان أساسها القرآن والحديث والفقه، وكانت بداية التأليف العلمي عند العرب وثيقة الصلة بهذه المصادر ، وكانت أشهر مراكز الحياة العلمية المدينة والفسطاط والبصرة والكوفة ودمشق .

كان أشهر من علم بمصر من الصحابة بعد الفتح هو عبد الله ابن عمرو بن العاص الذي يعتبر مؤسس مدرسة مصر الدينية (ت ٦٥ هـ) ، ويذكر المؤرخون أن لأهل مصر عنه قرابة مائة حديث، وممن اشتهر بمصر أيضا من العلماء والفقهاء يزيد بن أبي حبيب (ت ١٢٨هـ) ، والليث بن سعد المتوفي سنة ١٧٥هـ وكان يحسن القرآن والنحو ويحفظ الحديث والشعر .

وكان مركز الحركة العلمية الدينية في مصر في صدر الإسلام جامع عمرو بن العاص ، فكان ملتقي العلماء والأئمة ومنه تخرج خيرة العلماء والفقهاء .

ومن أهم العلوم الدينية علم القراءات أي العلم الذي يبحث في أساليب

قراءة القرآن وتهجي كلماته وعدد آياته ، ومن أئمة القراءات في المدينة نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني، وفي مكة عبد الله بن كثير مولي عمرو بن علقمة الكناني، وفي الكوفة عاصم ابن أبي النجود (ت ١٢٨هـ) وفي دمشق عبد الله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨هـ) ، وفي مصر ورش المقرئ واسمه عثمان بن سعيد المصري ولُقبْ بورش لشدة بياضه، وكان ماهراً في اللغة العربية وتوفي سنة ١٩٧ هـ .

ومن العلوم الدينية علم التفسير وهو يتعلق بفهم معاني القرآن الكريم ، وقد نشأ التفسير في عصر النبي ﷺ أول شارح للقرآن الكريم ، ثم تولي الصحابة هذه المهمة من بعده اعتماداً علي ما سمعوه من الرسول، ويعتبر هؤلاء الصحابة مؤسسي مدرسة التفسير في الإسلام، وعن الصحابة أخذ التابعون ثم من جاء بعدهم ، وقد اتجه المفسرون في تفسير القرآن اتجاهين يُعرف أولهما باسم التفسير المأثور وهو ما أثر عن الرسول وكبار الصحابة ، ويُعرف ثانيهما باسم التفسير بالرأي وهو ما كان يعتمد علي العقل أكثر من اعتماده علي النقل .

ومن العلوم الدينية الحديث ويُراد به ما يروي عن الرسول من قول أو فعل، وقد أخذ الناس الحديث عن الصحابة

الذين طالت صحبتهم برسول الله ومنهم السيدة عائشة وعمر بن الخطاب وأبو هريرة ثم ظهرت طبقة التابعين الذين أخذوا الحديث عن الصحابة ولم يُدون الحديث إلا في أواخر القرن الثاني الهجري في خلافة عمر بن عبد العزيز، ومن أشهر المحدثين في العصر الأموي سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري بالبصرة، وأبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن ابن المغيرة (ت ١٥٩هـ) وله من الكتب « كتاب السنن »، ومن أشهر المحدثين في العصر الأموي عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (ت ١٥٩هـ) وله من الكتب كتاب « السنن في الفقه » وكتاب « المسائل في الفقه ».

ومن العلوم التي ازدهرت في الدولة العربية علوم اللغة، فعلي الرغم من غلبة الأمية والبداوة علي العرب في جاهليتهم، فقد كانت لغتهم الفصحي هي كل ما حملوه معهم مع الإسلام من الجزيرة العربية إلي الأمصار، واللغة العربية هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، وقد اضطر العرب بعد اختلاطهم بالشعوب الأخري مثل الروم والسريان والعجم وغيرهم، وبعد أن دخل كثير من هذه الشعوب في الإسلام إلي وضع قواعد للغة العربية لتحميها من الخطأ فظهرت مدرسة النحويين في البصرة ويرأسها أبو الأسود الدؤلي الذي قيل أنه تلقي أصول هذا العلم عن علي بن أبي طالب.

ومن أبي الأسود الدؤلي أخذ جماعة من دارسي النحو منهم يحي بن يعمر ومن علماء البصرة البارزين أبو عمرو بن العلاء المتوفي سنة ١٥٣هـ

الذي اشتغل بالتفسير، والخليل بن أحمد واضع علم العروض، وصاحب كتاب « العين » الذي يعتبر أول معجم وضع في اللغة العربية .

أما الأدب فلم يزدهر في صدر الإسلام لاشتغال العرب الفتوح وتنظيم دولتهم ثم انشغالهم بالحروب الأهلية، وكان الشعر في صدر الإسلام لا يزال متأثراً بالشعر الجاهلي برغم تأثر العرب بالقرآن وأسلوبه، وكان الشعر في صدر الإسلام يقوم علي مدح الرسول أو هجاء المشركين، أو مدح زعماء قريش أو في هجاء المسلمين، وكانت هذه القصائد لا تكاد تخرج عما كان يمدح به الشعراء شيوخ القبائل في الجاهلية أو يهجونهم به وإن كثر فيها الحديث عن الجنة والنار والثواب والعقاب والحساب والعذاب وغير ذلك من الأمور الدينية التي لم يعن بها أو يعرض لها العرب الجاهليون في أشعارهم.

وقد اشتهر من شعراء المسلمين حسان بن ثابت وعبد الله بن مالك وكعب بن زهير واشتهر من شعراء المشركين كعب بن الأشرف وضرار بن الخطاب وغير هؤلاء .

وفي العهد الأموي تغير الحال فقد ظهرت أحزاب مختلفة كلها تتطاحن بالقول والسيف للوصول إلي السيادة والحكم، كما تغيرت الحالة الاجتماعية وازدهرت بما عاد علي العرب من أموال البلاد المفتوحة، لذلك ارتقت الحياة العربية وارتفع مستوي الحضارة، فنشأت في ظل هذه البيئة الجديدة فنون من الشعر لم تكن معروفة من قبل .

كـمـا تطورت الإدارة الحكومـيـة مما دعـا إلي إنشـاء الدوواوين ومن هذه الدواوين وأقربـها اتصالا بالحـياة الأدبيـة ديوان الإنشاء والرسـائل الذي اوجد نوعا من النثر لم يكن للعرب به عهد. هـذا ما يسمي بالنثر الفني، ويقصدون به تلك الرسـائل التي كانت تُحـرر باسم الخليفـة، وتصدر إلي ولاته وعـماله في الأقاليم، وقـد بدأ هذا النوع من النثر في ذلك العصـر ونما حتي ظهـر في آخر العهـد الأموي ، عبـد الحميد الكاتـب الذي يُعد مؤسس الكتـابة الفنية وواضع أصولها وقواعدها .

وكان للفتوح الإسـلامية أكبر الأثر في ظهور طبقة جـديدة تتمتع بالرخاء المادي ، وتجلت مظاهر هذا الرخاء في الحـركة الفكرية ولا سيـما في فن الغناء والموسيقي وفي تهذيب الشعر، هذا وقد تحمس الخلفاء الأمويون للشـعر الجيد فأجاد بعض خلفائهم نظم الشعر كيزيد بن معاوية، وكان عبد الملك بن مروان شاعراً فصيحا.

وكان للأحزاب السياسية التي ظهـرت في العهد الأموي شعراء أبلوا بلاء حـسنا في تأيـيـد مذاهبهم وآراأهم والدفـاع عنها منهم قـطري بن الفجـاءة من الخوارج والكميت بن زيد الأسدي من الشيعة.

العلوم العقلية: أمـا عن العلوم العـقليـة فقـد اسـتمـد المسلمـون آراءهم وعلومهم من الثقافـة اليونانية في مصر وسورية وقد اشتـغل المسلمون في عهد

الأمويين بالعلوم الطبيـة ولا سيما الكيمياء التي قـيل أنهم أخذوها عن اليونان، وكـان خالد بن يزيد أول من عني بنقل الطب والكيمـيـاء إلي العربيـة، فدعـا جماعة من اليونانيين من مدرسة الإسكندرية وطلب إليهم أن ينقلوا له كثيراً من الكتب اليونانية والقبطية التي تناولت البحث في صناعـة الكيمياء العملية، كما طلب إليـهم أن يتـرجمـوا له كـتب جـالينوس في الطب ووضع بذلك أسـاس المدرسة الطبية .

وقـد عني المسلمون بنشـر الـثقافة الطبيـة بترجمة ما خلفـه الأقدمون، وقيل أن الخليفـة الأموي الوليد بن عبـد الملك (٨٦ ـ ٩٦هـ) ، كان أول من بني البيـمارستـان في الإسلام، وذلك سنة ٨٨هـ ، وجـعل فيه الأطبـاء وأجري عليهم الأرزاق .

ومن العلوم التي برع فـيها العرب عـلم النجوم، ويذكر أن عـبد الملك بن مروان كـان مهـتما بـهذا العلم حتي أنه كان يصحب مـعه بعض المنجـمين في حروبه .

السير والمغازي (الكتابة التاريخية) : قامت الدراسات التاريخية بادي ذي بدء علي دراسة سيرة الرسول وأخبـار الغزوات وأخبار هجرة المسلمين الأوائل إلي الحبشة ثم إلي يثرب، وكان المؤرخون الأوائل يعتمدون علي الروايات الشفوية،

فكان كل جيل منهم يستمد أخباره من الجيل السابق، وقد شهد القرنان الأول والثاني للهجرة اهتمامًا خاصا بدراسة تاريخ العرب قبل الإسلام أو الجاهلية القريبة من الإسلام، وتم تدوينه في عصر الدولة الأموية، ومن المؤرخين الذين كتبوا في هذا الصدد عبيد بن شريه اليمني الذي ألف لمعاوية كتاب « الملوك وأخبار الماضين » وعاش إلي أيام عبد الملك بن مروان، ومنهم وهب بن منبه (ت ١١٠هـ) وكان يمنيًا. ويعتبر عروة بن الزبير المتوفي سنة ٩٤ هـ أقدم من ألف في السيرة النبوية، وكذلك أبان بن عثمان بن عفان المتوفي سنة ١٠٥ هـ ومن اشتغل بالمغازي إبن إسحاق (المتوفي سنة ١٥١هـ) وتلميذه ابن هشام المتوفي سنة ٢١٨هـ وصاحب سيرة النبي ﷺ .

الحياة الاقتصادية:

ازدهرت الحياة الاقتصادية في الدولة العربية وعم الرخاء بعد أن اتسعت رقعة الدولة شرقًا وغربًا ونجح العرب في ضم أمصار مختلفة إلي حوزتهم ، وقد حرص الخلفاء والولاة في الدولة الإسلامية علي تنمية موارد الثروة الزراعية لإنعاش أحوال البلاد الاقتصادية، فعنوا عناية كبيرة بتحسين وسائل الري وذلك بحفر الترع والقنوات وإقامة السدود والقناطر فالخلفاء الأمويون استغلوا العيون المائية في سورية لإخراج قنوات فيها تيسر للزراع ري أراضيهم وفي مصر اهتم العرب عقب الفتح مباشرة ببناء مقاييس للنيل لمعرفة مقدار الزيادة والنقصان في مياهه ليكون ذلك معيارا صادقا للزراعة والري

والضرائب في كل عام وبني عبد العزيز بن مروان في ولايته علي مصر مقياسا بحلوان التي اتخذها عاصمة لمصر .

ومن أشهر الحاصلات الزراعية في الدولة الإسلامية : الحنطة وتزرع في البلاد التي تتوفر فيها المياه كالعراق ومصر، وانتشرت زراعة الذرة في جنوب جزيرة العرب، أما الكروم فقد انتشرت زراعته في العراق واليمن والشام وبعض بلاد مصر ، وكان القمح أهم الحاصلات الزراعية في مصر وأهم ما ترسله مصر إلي الخلافة بعد الفتح وانتشرت في مصر أيضا زراعة الخضروات والفاكهة، وانتشرت زراعة قصب السكر في مصر والعراق .

الصناعة:

وقد نالت الصناعة أيضا اهتمام الخلفاء والولاة العرب وتجلت النهضة الصناعية في الدولة العربية الإسلامية في صور كثيرة ، فتقدمت صناعات الزجاج والورق والنسيج والدباغة والخشب والزيوت والفخار والعطور، فاشتهرت المدن السورية بصناعة الزجاج واشتهرت مصر بصناعة المنسوجات التي حرصت الأقطار الإسلامية الأخري علي استيرادها ، ومن أشهر مراكز المنسوجات في مصر الأسكندرية وتنيس التي كان الخلفاء يحرصون علي نسج ثيابهم الفاخرة بها، كما كانت تنيس تنتج العمائم وملابس النساء، كذلك

وجدت أكبر مراكز صناعة المنسوجات القطنية في شرق فارس كما اشتهرت بعض المدن الفارسية بالمنسوجات الكتانية .

واشتهرت مصر أيضا بصناعة الورق من البردي ، وذُكِر أنه كان ينمو بكثرة في مستنقعات الدلتا والفيوم. كما اشتهرت مصر أيضا بصناعة الخزف والزجاج، وقد عمل الولاة علي تشجيع الصناعات المختلفة ، كما عضدوا الصناع المصريين الذين توارثوا هذه الصناعات المختلفة منذ أقدم العصور .

وكما تقدمت الزراعة والصناعة فقد نشطت الحركة التجارية نشاطا ملحوظا وخاصة بعد أن اتسعت رقعة الدولة العربية الإسلامية وقد حرص الخلفاء علي تيسير سبل التجارة، فنشروا الأمن والطمأنينة في أنحاء دولتهم، وأقاموا المحطات والآبار في طرق القوافل، وكان لعملهم هذا أثر كبير في إنعاش حركة التجارة. ولا شك أن اهتمام العرب بالتجارة قد زاد بعد الفتوحات الإسلامية وبعد أن أصبحت مصر وبلاد المغرب والشام جزءاً من إمبراطورية واحدة هي الدولة العربية .

كانت التجارة الداخلية مركزها الأسواق فتقيم كل طائفة من التجار في سوق معين، وكان بالدولة الإسلامية مراكز تجارية هامة مثل مدينة دمشق التي كانت محطًا للقوافل الآتية من ناحية الفرات إلي جزيرة العرب ومصر .

وتعتبر مدينة البصرة من أهم المراكز التجارية في العالم الإسلامي، ولعبت

دوراً هامًا في التجارة بين الهند والصين بحراً وبذلك حلت محل الأبلة علي الخليج الفارسي، وكانت البصرة مقصد القوافل وقد وفدت إليها جاليات مختلفة من الهند والسند والصين وتردد عليها كثير من العرب للتجارة .

وازدهرت التجارة بالفسطاط التي كانت من أهم مراكز مصر التجارية لموقعها علي النيل، فضلاً عن توسطها بين الوجهين القبلي والبحري، وكان يخرج منها قوافل تجارية إلي الحجاز وبلاد الشام والمغرب .

نشطت حركة التجارة في البلاد الإسلامية نشاطًا كبيراً في البر والبحر ومما يسر هذا النشاط الموقع الممتاز الذي تمتعت به البلاد الإسلامية فكانت بلاد العراق تتحكم في نهري دجلة والفرات . أما مصر فقد تمتعت بموقع ممتاز إذ أن مصر تتوسط ثلاث قارات وتشرف علي بحرين كبيرين، البحر المتوسط والبحر الأحمر . وقد فطن الحكام إليه فعملوا منذ الفتح العربي علي اتخاذ الوسائل المختلفة لضمان الازدهار التجاري. وذلك بإنشاء الموانئ علي الشاطئ الغربي للبحر الأحمر، وشق طرق تجارية جديدة بين البحر الأحمر والنيل إلي غير ذلك من ضروب الاهتمام بالتجارة .

لقد كانت التجارة الحرفة الرئيسية عند العرب قبل الإسلام، وكانت قوافلهم التجارية تجوب أنحاء الجزيرة العربية المختلفة من اليمن إلي الشام إلي الحجاز إلي العراق وإلي مصر، فلما ظهر الإسلام وُضِعَت التشريعات التي

تنظم التجارة ونظمها عند العرب، وكانت أولي التشريعات الإسلامية هي تحريم الربا ونهي الإسلام عن بيوع كثيرة كانت معروفة عند العرب في الجاهلية، وقد كان الرسول ﷺ يراقب الأسواق بنفسه وهذه التوجيهات الإسلامية نظمت التجارة وشجعتها ووضعت الأسس العامة التي أبعدت الظلم عن البائع والمشتري .

وعمل الخلفاء الراشدون علي وضع النظم والقوانين التي تنظم الأسواق وتمنع الغش، كما عمل الخلفاء الأمويون أيضا علي الاهتمام بالتجارة وتيسير طرقها البرية والبحرية ومنهم من اهتم بضبط الموازين حتي لا يقع الغش في البيع والشراء

كانت هناك تجارة داخلية حيث يتم التبادل التجاري بين الأمصار الإسلامية المختلفة ، كما كانت هناك تجارة خارجية بين الأقاليم الإسلامية والعالم الخارجي، كما كانت هناك تجارة برية وتجارة بحرية. أما عن طرق التجارة العربية كانت هناك الطرق البحرية والطرق البرية. أما الطرق البحرية فأهمها طريق بحر فارس وطريق البحر الأحمر .

أما التجارة البرية بواسطة القوافل فكانت هناك طرق تجارة تربط بين اليمن والبلاد الأخري، كما ذكرت المصادر عدداً من الطرق التي كانت تربط بين مكة والبلاد الأخري والتي سلكتها القوافل التجارية في طريقها إلي اليمن والشام والعراق ومصر .

أما عن وسائل المعاملات التجارية والمالية فقد كان العرب قبل الإسلام يتعاملون بالدراهم الفضية الفارسية وبالدنانير الذهبية البيزنطية وظل العرب بعد الإسلام يتعاملون بهذه النقود إلي أن قامت الدولة الأموية، فضرب الخلفاء الأمويون بعض العملات ، فلما ولي عبد الملك بن مروان اهتم بإصلاح السكة وتوحيدها في جميع أنحاء الدولة الإسلامية سنة ٧٦هـ والاستغناء عن النقود الأجنبية فارسية كانت أم بيزنطية، وقد اختلفت أقوال المؤرخين حول الأسباب التي دفعت عبد الملك بن مروان إلي ضرب العملة الإسلامية، ومهما يكن من أمر فقد ضرب عبد الملك هذه العملة واعتبرت هي النقود الشرعية .

الحياة الاجتماعية

أولاً : عناصر السكان :

العرب: اعتمد الخلفاء الراشدون والأمويون من بعدهم على العنصر العربى فى إدارة شئون دولتهم ، وعلى الرغم من أن الدين الإسلامي يدعو إلى المساواة بين المسلمين كافة لا فرق فى ذلك بين عربى وعجمى ، فقد تعصب الأمويون للعرب الذين قامت على أكتافهم الدولة الإسلامية والذين يبذلوا أموالهم ودماءهم فى سبيل فتح البلاد التى أصبحت جزءاً من الدولة الإسلامية الكبرى مثل العراق وفارس والشام ومصر وبلاد المغرب.

على أن العنصر العربى تسلل إليه وخاصة فى أواخر العهد الأموى روح العصبية القبلية التى حاول الإسلام القضاء عليها وكان تفاقم روح العصبية فى خراسان خاصة من أهم العوامل التى ساعدت على نجاح الدعوة العباسية على أيدى الموالى الذين سخطوا على الحكم العربى.

ومن الناحية المالية كان العرب فى البداية لا يدفعون أى ضريبة على ما بيدهم من الأرض إلا الزكاة وكانوا الأغلبية العظمى فى ديوان الجند الذين يتقاضون عطاءاً من بيت المال نقداً وعيناً من غنائم الفتوحات والأموال الواردة من البلاد المفتوحة.

وقد زادت الأراضى التى يمتلكها العرب زيادة كبيرة منذ عهد معاوية بن أبى سفيان وذلك إما بالإقطاع من الحكومة أو بطريق الشراء من ملاك الأرض الأصليين.

ولم يكن جميع العرب ينالون عطاء من الدولة بل يقال أنه كانت هناك طوائف فقيرة من عرب العراق والبحرين غير مسجلة فى ديوان العطاء.

الموالى : يقصد بالموالى الشعوب الغير عربية التى دخلت فى الإسلام وقد زادت أعدادها وخاصة فى العهد الأموى بعد اتساع الدولة الإسلامية وقد أساء بعض الأمويين معاملة هؤلاء الموالى فثاروا على الحكم الأموى وانضموا إلى الخارجين على بنى أمية ، وكانت الأغلبية العظمى من الموالى فى منزلة اجتماعية دون منزلة العرب وكان ذلك سبباً فى سخطهم وباعثاً لهم على مناصرة الحركات التى تناهض الدولة الأموية كما ذكرنا ولاسيما الشيعة فى العراق والخوارج فى خراسان.

ومما يجدر ذكره أن الموالى كانوا أحياناً يستخدمون فى وظائف الدولة وقد قيل أن كثير منهم اشتركوا مع الجند العرب فى جيوش الفتح وخاصة فى خراسان وبلاد المغرب ولكن كان معظمهم يحاربون مشاة وكان عطاؤهم أقل من عطاء الخيالة العرب.

وقد أقبل الموالى فى العهد الأموى على تعلم اللغة العربية، ولكن الحياة العقلية كانت عربية أى أن العرب كان بيدهم علوم الحديث والفقه واللغة والتاريخ التى ظهرت فى هذا العصر ويظهر ذلك جلياً فى مراكز الحياة الثقافية

فى البصرة والكوفة والفسطاط ، وقد قيل أن الموالى لم يظهر شأنهم فى الحياة العقلية والثقافية إلا بعد أن تم تعريب الدواوين فى عهدى عبد الملك بن مروان والوليد ابن عبد الملك.

أهل الذمة : وهم النصارى واليهود وقد تمتعوا فى ظل الإسلام بالحرية الدينية فقد خير العرب أهل الذمة فى البلاد المفتوحة بين الإسلام والبقاء على دينهم فمن أسلم منهم تمتع بما يتمتع به المسلمون ومن بقى على دينه فرضت عليه الجزية ، وقام أهل الذمة فى الدولة الإسلامية بجميع الأعمال التى تدر عليهم الأرباح فعملوا فى الزراعة كما تخصصوا فى بعض الحرف مثل النسيج وأعمال الصيرفة.

وكان أهل الذمة يلقون فى العصر الأموى معاملة طيبة ويلون بعض وظائف الدولة إلى أن كان عهد عمر بن العزيز فقد تغير وضعهم بعض الشئ، فقد كان عمر يعمل على أن تكون الإدارة الحكومية إسلامية ، وعلى أن ينشر الإسلام بين أهل الذمة فوضع بعض القيود على أهل الذمة و التى قيل أنها نسبت أولاً إلى عمر بن الخطاب ولكن هذه القيود لم يكن يُعمل بها أو يتشدد فى تنفيذها دائماً .

الرقيق : وقد كثر بصفة خاصة فى العهد الأموى وكان أهم مورد للرقيق أسرى الحروب والمعروف أن العرب فى العهد الأموى امتدت فتوحاتهم إلى الأندلس وما وراء النهر فقيل أن موسى بن نصير أخذ ثلاثمائة ألف أسير

وأرسل خمسهم إلى الوليد بن عبد الملك كما سبى ثلاثين ألف عذراء من بنات ملك القوط وأعيانهم ، وقيل أن قتيبه بن مسلم أسر فيما وراء النهر مائة ألف أسير.

وكان للرقيق دوراً هاماً فى الحياة الاجتماعية بما أدخله من فنون مختلفة كما كان لهم دوراً سياسياً هاماً.

المجالس الاجتماعية :

ومن المجالس الاجتماعية مجالس الشعر ومجالس الغناء والطرب والمعروف أن العرب قبل الإسلام تمتعوا بحياة الموسيقى والغناء وكان لاختلاط بعضهم بالجوارى الروميات والفارسيات أثر بعيد فى حياتهم الاجتماعية ، أما العرب فى عهد الخلفاء الراشدين فقد انصرفوا إلى الجهاد والفتوحات الإسلامية حتى قامت الخلافة الأموية وظهر كثير من الشعراء الذين مال الناس إلى أشعارهم وتغنوا بها.

وقد أخذ الأمويون كما أخذ العباسيون من بعدهم نظام مجالسهم عن الفرس ، وكان معاوية ومروان و عبد الملك والوليد وسليمان وهشام ومروان بن محمد لا يظهرون للندماء بل كان بينهم حجاب حتى لا يطلع الندماء على ما يفعله الخليفة إذا طرب. وكان بعض خلفاء بن أمية يظهرون للندماء والمغنيين . وفى عهد الوليد الثانى شغف الناس بالموسيقى والغناء وكانوا ينفقون ببذخ على المغنيين المشهورين والموسيقيين الذين كان الخليفة يدعوهم إلى دمشق.

ومن أشهر المغنيين فى هذا العصر طُوَيْس وأبو مروان العَريض ، وكان للجوارى أثر ملحوظ فى تقدم الغناء فى العصر الأموى.. ومــن المعــروف أن انصراف بعض الخلفاء الأمويين إلى الترف الزائد وانشــغالهم عــن شــئون دولتهم كان من العوامل التى ساعدت على سقوط دولتهم.

المرأة : كانت المرأة العربية تتمتع بقسط وافر من الحرية وكانت النســاء فى عهد الخلفاء الراشدين يحضرن مجالس العلماء ويسمعن خطب الخلفاء.

واشتهر من نساء العرب فى هذا العصر عائشة أم المؤمنين التى ضربت بسهم وافر فى الفقه ورواية الحديث والأدب والتاريخ وأختها أسماء بنت أبــى بكر وقد اشتهرت برواية الحديث والشجاعة والكرم وكان للمرأة دور بارز فى الحياة السياسية فقد قادت السيدة عائشة جند المسلمين يوم الجمل ، وعكرشة بنت الأطرش التى اشتركت فى الحرب بين على ومعاوية وكانت تحرض الجند على معاوية.

ومن شهيرات نساء العصر الأموى أم البنين زوجة الخليفة الوليد بن عبد الملك وقد اشتهرت بالفصاحة والبلاغة وكان الوليد يستشيرها فى مهام أمــور الدولة وكان لها الفضل فى كثير من الأعمال الجليلة التى قام بها فى الدولة.

ومن أبرز نساء الدولة الإسلامية سكينة بنت الحسين بن على سيدة نساء عصرها وأشهرهن علماً وثقافة وقد اجتمع إليها يوما جرير والفرزدق وكثيــر وغيرهم فنقدت شعر كل منهم وأجازت لكل منهم ألف دينار.

ومن النساء العربيات من نبغ فى أيام العرب والنجوم و منهن عائشة بنت طلحة بن عبيد الله التى وفدت على هشام بن عبد الملك وأظهرت فراستها ومهارتها فى أخبار العرب وإشعارهم فأمر لها بمائة ألف درهم وردها إلى المدينة.

ومن النساء من نبغ فى الطب ومنهن أم عطية الأنصارية التى قيل أنها غزت مع النبى ﷺ سبع غزوات فكانت تصنع للجند الطعام وتداوى الجرحى وتقوم على المرضى.

ومنهن أيضاً رفيدة التى كانت تداوى جرحى المسلمين فى يوم الخندق وكانت قد اتخذت خيمة فى مسجد النبى ﷺ لهذا الغرض.

وكانت حفلات الزواج فى صدر الإسلام غاية فى البساطة ولا أدل على ذلك من زواج السيدة فاطمة بنت الرسول ﷺ من على بن أبى طالب.

وكان للزواج عند العرب يومان : يوم الأملاك وهو يوم العقد واليوم الثانى يوم النباء وهو يوم الزفاف.

أنواع التسلية:

شغل العرب أوقات فراغهم ببعض ضروب التسلية كالصيد وسباق الخيل وكان يزيد بن معاوية من أشد الأمويين شغفاً بالصيد وكان سباق الخيل من أهم وسائل تسلية الشعب على اختلاف طبقاته وقيل أن هشام ابن عبد الملك كان أول من أقام حلبات السباق وكانت ا لأميرات يتدربن على ركوب الخيل ويشتركن فى السباق وكذلك كان الوليد الثانى مغرماً بسباق الخيل .

ومن أنواع التسلية أيضاً عند العرب اللعب بالكرة والسباحة والرمى بالنشاب وعن الرسول صلى الله عليه و سلم أنه قال : علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل.

وقد اهتم المسلمون بالاحتفال بالأعياد الإسلامية مثل عيدى الفطر والأضحى ، كما كان لأهل الذمة أعيادهم التى احتفلوا بها.

الطعام والملابس:

كانت الحياة العربية فى بادئ الأمر بسيطة وكانوا فى صدر الإسلام يكتفون بالقليل من الطعام وكان خير أدمهم اللحم. وكان النبى ﷺ وكثير من الصحابة يقلون من الطعام لا لفقر أو شح ولكن زهداً فى الدنيا ومواساة للفقراء وكسراً للنفس عن شهواتها كما كان العرب يراعون فى كثير من الأحيان قواعد الصحة فى مأكلهم ولا يسرفون فى الأكل كما كان العرب كرماء يجودون بطعامهم ولا سيما أهل البوادى واشتهر كثير منهم بالكرم والجود وخاصة مع الغرباء.

ومن أطعمة العرب المعروفة الثريد وهو الخبز يفت ويبل بالمرق ويوضح فوقه اللحم ، والكوثان، والشعيرية وهو طعام كالخيوط صغر مثلها فى حجم الشعير، والربيكة، وهى شئ يطبخ من بر وتمر ويعجن بسمن، والعكة وهى طعام يتخذ من دقيق يعجن بسمن ثم يشوى.

وفى العهد الأموى بعد أن خالط العرب الأمم الأخرى تغيرت أطعمتهم واستحدثوا فيها طرقاً جديدة ففى عهد الأمويين استعمل العرب الفوط والملاعق

بعد أن كانوا يأكلون بأيديهم ، وكانت الملاعق تصنع من الخشب كما قيل أنهم كانوا يجلسون على الكراسى أمام مائدة الطعام التى كان يكسوها مفرش من القماش.

وقيل عن معاوية بن أبى سفيان أنه كان يكثر من الطعام حتى أنه كان يأكل فى كل يوم خمس أكلات كما أشتهر سليمان بن عبد الملك بحبه للطعام وتفننه فى اختيار ألوانه.

أما عن الملابس : فقد كانت ملابس العرب بسيطة ولم يكن الرسول ولا أبو بكر وعمر يبالغون فى ملبسهم بل كان الزهد من أبرز صفاتهم فقد كان أبو بكر يلبس فى خلافته الشملة والعباءة كما كان عمر متواضعاً خشن الملبس وكان يلبس الجبة الصوف ويشتمل بالعباءة.

وكان لبس البدو يتكون من قباء طويل مشقوق من الوسط ومتدل إلى العقب ومربوط من الوسط بحزام من الجلد وكانوا يرتدون العباءة فوق القباء ويصنعونها من وبر الجمل ، كما كانوا يرتدون فى الحرب أو فى ركوب الخيل أردية خاصة مثل السروال ورداء قصير.

وكانت الملابس تختلف تبعاً لثروة الناس ونوع عملهم فكانت كسوة الفقيه أو الكاتب تختلف عن ثياب الجند وهكذا.

أما ثياب المرأة العربية فكانت تتكون من سروال فضفاض وقميص مشقوق عند الرقبة عليه رداء قصير ضيق يلبس عادة فى البرد وإذا خرجت

المرأة من بيتها ترتدى الحبرة وهى نوع من الملابس اليمنية وكانت عبارة عن ملاءة طويلة تغطى جسمها، وتلف رأسها بمنديل يربط فوق الرقبة.

وفى عهد سليمان بن عبد الملك شاع الوشى الذى كان يجلب من اليمن خاصة ، واتخذ الناس منه جلباباً وأردية وسراويل وعمائم وقلانس وقد بلغ من شغفه بالوشى أنه كان لا يدخل عليه رجل من أهل بيته وعماله وأصحابه إلا فى الوشى.

الفنون والعمارة :

كان يغلب على الحياة الإسلامية فى عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده البساطة والخشونة والجهاد فى سبيل الله، ولما اتسعت الفتوحات الإسلامية، واختلط العرب بغيرهم من الأمم الأخرى تعلموا أساليب فنية جديدة وقد اتخذ العرب بعد فتحهم للشام وفارس طرازاً خاصاً للعمارة يتناسب مع حالة معيشتهم وعلى الرغم من أن العرب استعانوا بمهرة الصناع فى البلاد التى دخلت تحت سلطانهم احتفظت العمارة الإسلامية بطابعها الجديد، وأصبحت تمتاز بمزايا خاصة بها.

وقد أدخلت المقصورة فى بناء المساجد لينتظر فيها الإمام حتى يحين وقت الصلاة وكان أول من اتخذها معاوية بن أبى سفيان حين خشى على نفسه أن يحل به ما حل بعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب ، واقتدى به الخلفاء من بعده كذلك دخلت فى عمارة المساجد زيادات منها المآذن والمحراب الذى يدل

على جهة القبلة والإيوانات ، وهى أروقة تحيط بالصحن ذات أقواس مقامة على أعمدة أو دعائم.

وقد تقدم فن الزخرفة الإسلامية فى عهد الخلفاء الأمويين ومن مميزاته الظاهرة إستعمال النقوش الخطية العربية ، وقد أزدهر فى عهد الأمويين فن النقش على الجدران.

العمارة : وتنقسم إلى ثلاثة أقسام .. عمارة مدنية تتمثل فى المدن والقصور ودينية تتمثل فى المساجد وحربية تتمثل فى الحصون والقلاع وكانت مبانى العرب غاية فى البساطة ثم بدأ العرب فى اتخاذ الدور الضخمة ، وكانت المدن تحاط بأسوار منيعة للدفاع عنها من أهم المدن التى أسست فى تلك الفترة.

البصرة : واختطها العرب سنة ١٦هـ وانشئ بها أولاً المسجد وبنى بجواره دار الإمارة وقد أصبحت البصرة من أهم المراكز التجارية فى العالم الإسلامي بعد فترة قليلة من إنشاءها.

الكوفة : واختطها العرب بعد البصرة سنة ١٧هـ وقد اتخذها على بن أبى طالب حاضرة لخلافته لأن بها شيعته وأنصاره ولخصوبة أرضها وكثرة خيراتها ووقوعها فى مكان متوسط يسهل منه الاتصال بأجزاء الدولة الإسلامية .

الفسطاط : بعد أن تم لعمرو بن العاص فتح الأسكندرية سنة ٢١هـ وإجلاء الروم عنها وطردهم من مصر أراد أن يجعلها مقراً لولايته وكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب فسأل عمر رسول عمرو "هل يحول بينى وبين المسلمين ماء؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل"

فكتب إلى عمرو، إنى لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلاً يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف فلا تجعلوا بينى وبينكم ماء وقد اختار عمرو بن العاص مدينة الفسطاط لأنها فى مكان سهل الاتصال ببلاد العرب كما أن هذا الموقع يستطيع منه أن يشرف على مصر شمالاً و جنوباً ولقربه من الطريق إلى بلاد العرب.

وقد قيل فى تسمية الفسطاط بهذا الاسم أقوال كثيرة : فقال بعضهم أن عمرو بن العاص لما أراد المسير إلى الأسكندرية أمر بفسطاطه أن يرفع فإذا بيمامة قد باضت فى أعلاه فقال : لقد تحرمت بجوارنا. أقروا الفسطاط حتى يطير فراخها، فأقر فى موضعه فبذلك سميت الفسطاط، وقيل أن العرب كانت تقول لكل مدينة فسطاط ، وهناك من يقول أن الكلمة مأخوذة من فوساطم وهى كلمة رومانية أخذها العرب عن الروم أثناء حربهم فى الشام.

وقد ظلت الفسطاط مقراً للإمارة حتى بنيت العسكر سنة ١٣٢هـ فنزل فيها أمراء مصر وسكنوها.

دمشق : وقد أصبحت حاضرة الدولة الإسلامية منذ خلافة معاوية بن أبى سفيان وكانت قبل الفتح العربى مقر حكام الروم وأصبحت أكبر المدن الإسلامية فى ذلك العصر وأفخمها فى الأبهة والعمارة و امتازت على غيرها من المدن بكثرة الأنهار والينابيع. وكان لدمشق سبعة أبواب وقد شيد بها معاوية قصر الخضراء ولما ولى الوليد الخلافة جمل دمشق وضواحيها بالمبانى العامة . ومن آثار الأمويين الخالدة فى دمشق مجارى مياهها وبلغ نظام مجارى الماء من الدقة بحيث أصبح لكل دار فى دمشق نافورة خاصة بها وذلك بفضل القنوات السبع الرئيسية التى شقها الأمويون لتوصيل الماء إلى أنحاء المدينة والقناطر الكثيرة المقامة على الأعمدة التى شيدوها لتوصيل ماء الشرب إلى الدور.

القيروان : ومن المدن التى أسسها المسلمون فى ذلك العصر القيروان وذلك بعد أن نجح عقبة بن نافع فى فتح أفريقية وقد اختار موقع القيروان لبعده عن ساحل البحر حتى يكون المسلمون بمأمن من غارات الروم وقد اختط عقبة فى ذلك الموضع دار الإمارة واختط الناس حولها الخطط والدور كما بنى بها المسجد الجامع.

المساجد : أنشئت فى عصر الخلفاء الراشدين عدة مساجد مثل جامع البصرة وجامع الكوفة وجامع عمرو بن العاص وقد أسس جامع عمرو

سنة ٢١هـ ويعرف باسم الجامع العتيق وهو أقدم جامع بنى فى مصر وفى أفريقيا.

وفى العهد الأموى عنى الأمويون بتجديد هذه المساجد وقد كان الوليد بن عبد الملك أعظم الخلفاء الأمويين أثراً فى العمارة والفنون وقيل أن الناس فى دمشق كانوا يتحدثون فى عهد الوليد عن البناء والعمائر وجمالها وكان الوليد مغرماً بعمران البلاد والإصلاح والتعمير فعنى بتجديد ا لمسجد النبوى فى المدينة وقيل أنه كتب إلى إمبراطور الروم يطلب منه العمال لتجديد مسجد الرسول ﷺ فبعث إليه أربعين رجلاً من الروم وأربعين من القبط.

وقد عنى الوليد بتجديد سائر الجوامع ومن بينها جامع عمرو بن العاص.

أما أبدع العمائر الأموية فكان المسجد الجامع فى دمشق وكان يضرب به المثل فى جماله وتتجلى فيه آيات الفن العربى البديع وقيل كان مكان الجامع الأموى معبد وثنى قديم حول فى أواخر القرن الرابع الميلادى إلى كنيسة القديس يوحنا المعمدان ولما فتح المسلمون دمشق دخلها خالد من الجهة الشرقية عنوة وانتهى إلى النصف الشرقى من الكنيسة فاتخذه المسلمون مسجداً بينما دخل أبو عبيدة المدينة من الجهة الغربية صلحاً فترك النصف الثانى من الكنيسة للنصارى وبذلك شارك المسلمون نصارى دمشق فى كنيستهم الكبرى وقد حاول معاوية بن أبى سفيان إقناع نصارى دمشق بالتنازل عن نصيبهم لضمه إلى المسجد فأبوا وحاول عبد الملك بن مروان فأبوا ، ولما عزم الوليد بن عبد الملك على بناء مسجده جمع زعماء النصارى وعرض

عليهم التخلى عن شطرهم واستعداده أن يعوضهم عنها بكنيسة أخـرى فـى مكان آخر وعرض عليهم مالاً كثيراً فلما أبوا انتزعه منهم قسراً وأمر بهـدم الكنيسة وبناء الجامع بين سنتى ٨٨ و ٩٦هـ.

وقد عنى الوليد بعمارة مسجد دمشق حتى قيل أنه انفق علـى عمارتـه خراج دولته سبع سنين ، وقيل أن الوليد لما أراد بناء المسجد احتـاج إلـى الصناع فكتب إلى ملك الروم يطلب منه أن يوجه إليه مائتى صانع من صـناع الروم فأرسل إليه ملك الروم ما طلب كذلك استعان الوليد بالعمـال والصـناع المصريين فى بناء المسجد الذى قيل أن محرابه كان مرصعاً بالجواهر الثمينة ، عليه قناديل الذهب والفضة ، ومحلى بالفسيفساء والسلاسل الذهبية ولـذلك كان كما يقال بالغ الإتقان ومعدود من إحدى عجائب الدنيا ، وآية مـن آيـات الفن العربى والبيزنطي.

ومن أهم العمائر الإسلامية التى بنيت فى العصر الأموى أيضاً جامع حلب الكبير ، ويقال أنه كان مماثلاً للجامع الأموى فى دمشق بجماله وفنه، وخاصة بأحجاره المرمرية وفسيفسائه وقيل أن سليمان بن عبد الملك بناه ليتمثل بأخيه الوليد الذى أنشأ جامع دمشق ، ويقول آخرون أن الوليد نفسه هو الذى أنشـأ الجامع الأموى فى حلب.

وتعتبر قبة الصخرة ببيت المقدس من أروع العمائر الدينيـة الأمويـة ، أنشأها الخليفة عبد الملك بن مروان فى سنة ٧٢هـ وكانت موضـع احتـرام المسيحيين واليهود والمسلمين ، وهى بناء حجرى مثمن الشـكل تتوسـطها

الصخرة التى قيل أن الرسول ﷺ أسرى عندها ليلة الإسراء فسميت القبة لذلك بقبة الصخرة.

وقيل أن سبب بناء قبة الصخرة كما يذكر البعض أن عبد الملك منع أهل الشام من الحج وذلك لأن ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجوا بالبيعة ، فلما رأى عبدا لملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة فضج الناس فحدثهم أن رسول الله ﷺ قال : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدى ، ومسجد بيت المقدس وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام وهذه الصخرة التى يروى أن رسول الله ﷺ وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء تقوم لكم مقام الكعبة ، فبنى على الصخرة قبة وعلق عليها ستور الديباج وأقام له سدنة ، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة ويبدو أن هذه الرواية وضعها خصوم بنى أمية حيث أن الخليفة عبد الملك عرف بأنه كان حريصاً على فرائض الدين ، وليس من المعقول أن يقدم مثله على مثل هذا الأمر بتحويل الحج عن الكعبة.

وقد أقيمت فى العصر الأموى مساجد أخرى جامعة من أنحاء مختلفة من الدولة العربية الإسلامية منها المسجد الجامع بالقيروان ، وجامع الزيتونة بتونس ، والمسجد الجامع بواسط ، والمسجد الجامع بالإسكندرية ، وغير ذلك من المساجد.

المصادر والمراجع

١ ـ المصادر المقدسة : القرآن الكريم

٢ ـ المصادر العربية :

١ ـ ابن الأثير :

الكامل في التاريخ ـ مجلد ٢ ، ٣ ـ منشورات محمد علي بيضون ـ الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م .

٢ ـ السيوطي :

تاريخ الخلفاء ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ بدون تاريخ .

٣ ـ المسعودي :

مروج الذهب ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ جـ ٣ ، دار المعرفة بيروت ١٩٨٢م .

٤ ـ ابن هشام :

سيرة ابن هشام ـ تهذيب عبد السلام هارون ـ مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م .

٥ـ اليعقوبي :

تاريخ اليعقوبي ـ المجلد الثاني ـ دار صادر ـ بيروت ـ بدون تاريخ .

المراجع العربية الحديثة

١ـ حسن إبراهيم حسن « الدكتور » :

تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، جـ ١ ـ مكتبة النهضة المصرية ـ الطبعة الخامسة ١٩٥٩م .

٢ـ السيد عبد العزيز سالم : الدكتور :

التايخ السياسي والحضاري للدولة العربية ـ دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٨ .

٣ـ سيدة كاشف : الدكتورة :

مصر في عصر الولاة ـ الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٨ .

٤ـ عصام الدين عبد الرؤوف : الدكتور :

معالم التاريخ الإسلامي ـ دار الفكر العربي ـ بدون تاريخ .

٥ـ عطية القوصي : الدكتور :

تاريخ الدولة العربية الإسلامية ـ دار الثقافة العربية ، ١٩٩٩م .

٦ـ محمد أمين صالح : الدكتور :

العرب والإسلام ـ مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٠ .

٧ـ محمد جمال الدين سرور : الدكتور

قيام الدولة العربية الإسلامية ـ دار الفكر العربي ـ١٩٧
الطبعة الرابعة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤م .

٨ ـ الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة ـ دار الفكر العربي ١٩٦٠ .

فهرس الموضوعات

